عِشْ هانئًا.. كُنْ مطمئناً!

مفاهيم نبوية لترك القلق.. وتحسين التفكير
وتحقيق السعادة في الحياة..

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

رمضان 1437هـ / يونيو 2016م

عناوين التواصل مع المؤلف:

هاتف: **50290303**

إيميل: **al-jefiri @ hotmail. com**

تويتر: **@mohamdaljefiri**

عِشْ هانئًا.. كُنْ مطمئناً!

مفاهيم نبوية لترك القلق.. وتحسين التفكير..
وتحقيق السعادة في الحياة..

ومعه

إزالة الهموم في السنة النبوية

إعداد:

محمد بن حسن الملا الجفيري

إمام وخطيب مسجد عبدالعزيز الراشد بضاحية السلام ق4

1437هـ / 2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وعلى آله وصحبه.. أما بعد:

لما أراد الله جل وعلا أن يبين أثر الإيمان والعمل الصالح في حصول السعادة ؛ أتى بأسلوب الشرط من أساليب الكلام العربي، الذي يفيد المعنى زيادة قوة، وذلك حين يوقف المتكلم حكمه (وهو جواب الشرط) على حدث أو طلب معين (وهو فعل الشرط)..

قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ...﴾ الآية [النحل: 97]. ولاشك أن مفاتيح السعادة ولبها بيد الله جل وعلا، يهبها من يشاء ويحرمها من يشاء، وله الحكمة البالغة، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

وقد أكرم الله سبحانه وتعالى المسلمين بوحي القرآن والسنة، الذين جاءا بكل ما فيه صلاح الدين والدنيا.. ولذا كان بقدر التمسك بهما علما وفهما ووعيا وحكما وحسن عمل، يُحَصِّل المرء ما شاء من أسباب السعادة.

وهذا الذي بين يديك أخي القارئ الكريم قبس من أحاديث

النبي ﷺ - أسعد الناس بربه وأعظمهم حظا مما قسمه لهم من خير وسعادة ورضى -، تم انتقاؤها بعناية بحيث يرسم لنا كل حديث منها جزءً من خارطة طريق، ترتكز في موقعها من الخريطة الذهنية كقاعدة راسخة لفهم الحياة واكتساب المفاهيم والمهارات والسلوكيات الموصلة بإذن الله تعالى إلى حالة السكينة والطمأنينة.. والشعور بالسرور والانشراح.. والتلبس بالهدوء والراحة...

وهل بعد اكتساب هذا وتأصيله في أذهاننا، وتجذره في نفوسنا، وترجمته في واقع سلوكياتنا وأفعالنا إلا السعادة من أوسع أبوابها؟

وهل بعد هذا إلا الإنجاز والامتياز، والإحسان والإتقان، والنجاح والفلاح؟

وهل بعده إلا ابتسامة رضا حقيقة لا مصطنعة متكلفة، يعقبها نوم قرير وأحلام جميلة؟

إن امرئً مسلما هُيِّئ له أن يطلع على هذه الأحاديث النبوية والحكم المصطفوية فيعرفها ويألفها ويحفظها ويفهمها من خلال صفحات قليلة كـ (الزَّهْرِ النَّضِر)، حُق له أن يفرح بـ(فتح الباري) عليه، و(بلوغ المرام) لديه، و(تغليق التعليق) عليه، و(تعجيل المنفعة) لنفسه، و(الإصابة) بتوجيهات سيد

الصحابة، و(الدراية) لطرق الهداية، بما حواه من (درر كامنة)، و(قول مسدد)، و(نكت) من الفوائد والصلاح، و(عُجاب) في التوجيه والأسباب...

ولقد سارعت بنشره ملخصا (تلخيصاً حبيراً)، (لتعريف أهل التقديس)، (الخصال المُقدِّمة والمُؤَخِّرة) في طريق السعادة والرضى النفسي، فاحرص على قراءته لنفسك وعلى من تحب لأنه (نُخبة من الفِكَر)، ولقارئه (نُزهة النَّظر)، بل ولمن قُرئت عليه (نُزهة للسامعين).[1]

إنها جمل نبوية، ومفاهيم ربانية، بمثابة قواعد لفهم الحياة السعيدة، يجمعها هدف واحد هو: تحسين التفكير، وترك القلق، وخلق حالة من التوازن النفسي والتعامل الأمثل مع الكون.. النفس.. الحياة.. المال.. الناس، وقبل ذلك وبعده وأثناءه التعامل مع الخالق جل وعلا في زمن تموج فيه الدنيا وتمور بمادياتها وزخرفها وأنانيتها بل ولعناتها.. فالله الله في قراءتها وفهمها، وتدبرها ومعايشة مضامينها في الذهن، وتكرار

(1) تضمنت هذه الفِقرة ذكر أسماء مؤلفات للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله أحد أئمة الإسلام ومُحَدّثيه، صاحب كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) الذي لم يصنف في شروح الأحاديث النبوية مثله، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وقد توفي سنة (852هـ).

ذلك المرة تلو المرة حتى ترتكز في العقل وتترعرع فيه، ليسهل على القلب والجوارح ترجمتها وبشكل تلقائي في السلوك والأفعال..

والآن أوان المقصود.. مستعينا بالله رب الأرباب، ومسبب الأسباب..

المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب..

فإليه منتهى الطلبات، ومنه يسأل قضاء الحاجات..

القيوم الذي لا قوام لنا إلا به، الغني الذي لا غنى بنا عنه..

نور السموات والأرض ومن فيهن، الذي أشرقت بنور وجهه الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد

المؤلف 2015/6/23م

(1)

حيـزت لـه الدنيـا

يظن بعضنا أن السعادة تتوقف على تحصيله ما هو مفقودٌ عنده موجودٌ عند غيره..!

فيظل يومه وأمسه.. ليله ونهاره.. مترقبا لحظة تحصيل المفقود، ولذا يغيب ذهنه في عالم الأحلام والأمنيات والاستغراق في التفكير بالمستقبل، وينسى لحظته الحاضرة بما فيها من نعم متجددة ومتع متعددة..

ثم إن طموحَ ابن آدم وأمنياته لا تقف عند حد، وليس لها باب يُوصد.. كلما حصَّل ما كان بالأمس مفقودا، تمنى في الغد مفقودا جديدا، فهو في انشغال دائم، وكد ذهني مستمر عن لحظته ويومه، ونعمة الله التي بين يديه..

أما إن لم يحصلْها، فقد زاد إلى همه هما، وفاض على حزنه حزنا، وضم مع ضيقه ضيقا..!

فيأتي الحديث النبوي التالي ليصحح لنا مفهوم السعادة الحقيقي، ويبين أركانها الثلاثة، ويصرف الذهن إلى لحظته الحاضرة ليقول له:

(من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا).[1]

أي أن من أحاطت بيومه نِعَمٌ ثلاثٌ: أَمْنٌ يُظَلِّلُه، وعافية تُصْحِيه، وقُوتٌ يُقَوِّيه، فقد ملك الدنيا، وحصَّل أسباب السعادة.

فلك أن تتخيل صاحب قصرٍ مشيدٍ مرفوع عنه الأمن، أيهنأ بقصره؟

ولك أن تتصور مَلِكًا.. إلا أنه مشلول أو معلول..! كيف سيمارس ملكه بكل ما فيه من حظوة وسطوة، ومال ورفاهية؟

بل لك أن تتأمل في حال ثريٍ من الأثرياء، وعلى مائدته اليومية شتى أصناف المطعومات والمشروبات، لكنه مسلوب العافية، ممنوع إلا من بعضها، هل كَمُلَتْ سعادته بثرائه؟!

فقاعدة الحديث الذهنية التي ينبغي الارتكاز عليها:

قصر النظر على اللحظة الحاضرة ليكمل الاستمتاع بها وبما فيها من نعم، فلا يُنْقصها تفكير واستجرار لماض قديم، ولا قلق وخوف من مستقبل آتٍ.

يقول ابن الجوزي: «تفكرت فعلمت أن النفس لا تقف عند حد، بل تروم من اللذات ما لا منتهى له، وكلما حَصَل لها

(1) سنن الترمذي (2346)، سنن ابن ماجه (4141)، وحسنه الألباني.

غرض، بَرَدَ عندها وطلبت سواه، فيفنى العمر، ويَضْعف البدن، ويقع النقص، ويَرِقُّ الجاه، ولا يحصل المراد. وليس في الدنيا أبله ممن يطلب النهاية في لذات الدنيا، وليس في الدنيا على الحقيقة لذة، إنما هي راحةٌ من مُؤلم.. إلى أن قال: فإن الطمع في الجديد يُنَغِّص الخلق، ويَنْقُص المخالطة، ويستر عيوب الخارج، فتميل النفس إلى المُشاهَدِ الغريب، ويتكدَّر العيش مع الحاضر القريب.. بل الغَضُّ عن المشتهيات ويأس النفوس من طلب المستحسنات يطيب العيش مع المعاشَر. ومن لم يقبل هذا النصح، تعثر في طرق الهوى، وهلك على البارد، وربما سعى لنفسه في الهلاك العاجل وفي العار الحاضر... ومجموع ما قد بسطته: حفظ البصر عن الإطلاق، ويأس النفس عن التحصيل قنوعًا بالحاصل». [1]

خلاصة: يا من أمنت في مضجعك، وعُوفيت في بدنك، ولم تُعْدَم يوماً مِنْ قُوتٍ يُقيم صُلْبَك، احمد الله على هذه النعم، فهي أركان السعادة، وكل فائتٍ غيرها متعٌ ومكملات، لا شأن لها في حقيقة السعادة إلا الزيادة التي لا نهاية لها مع طَمَعِ ابن آدم وطَبْعِه !

** ** **

(1) صيد الخاطر (ص **532**).

(2)
إلى من تنظر؟

عند تحصيلك للنعم الثلاث السابقة - وهي نعم يشترك فيها جميع أصناف البشر غالبا (المؤمن والكافر) (البر والفاجر) (الغني والفقير) (الملك والرعية) - ؛ قد يدخل عليك الشيطان من مدخل خفي ليُنْغِص[1] عليك معيشتك واستمتاعك بالنعم التي بين يديك، وذلك بأن يفتح عليك باب: النظر إلى الآخرين نظر مقارنة، فتنظر في نوع قوتك ونوع قوته، أو في ما زاده الله من فضله في مال أو بيت أو سيارة أو زوجة أو منصب أو جمال أو ما آتاه الله من بسطة في العلم والجسم، فتبدأ تحتقر ما عندك إلى ما عنده، وتزدري نعمة الله عليك، مع أنك لو أيقنت أن فوق كل ذي نعمة من هو أنعم منه، وتحته من هو أقل منه، لعلمت أن المقارنة مع الآخرين مضيعةٌ للوقت مجلبةٌ للهم دون جدوى.

فإن كنت لابد فاعلا للمقارنة، فَقَلِّبْ نظرك إلى من هو دونك لا إلى من هو فوقك، إرشادا سلوكيا من النبي ﷺ حيث يقول:

---

(1) بمعنى يكدر، فالنُغْصة: ما يمنع من إكمال المراد وتحقيق الرغبة.

(انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم).[1]

قال الإمام ابن جرير وغيره: "هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا ما نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها؛ ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير".[2]

وقال الحافظ العراقي: "ومن هنا ينبغي للإنسان اجتناب الاختلاط بأهل الدنيا والتوسع منها ومن كسبها ونعيمها ؛ لأنه قد يؤدي إلى هذه المفسدة. وقال بعضهم: جالست الأغنياء فاحتقرت لباسي إلى لباسهم ودابتي إلى دوابهم، وجالست الفقراء فاسترحت".

---

(1) صحيح مسلم (2963) ونحوه في البخاري (6490): (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه).

(2) شرح النووي على مسلم (18/97).

وقال عقب شرحه للحديث: "وهذا أدب حسن أدبنا به نبينا ﷺ، وفيه مصلحة ديننا ودنيانا وعقولنا وأبداننا وراحة قلوبنا، فجزاه الله عن نصيحته أفضل ما جزى به نبيا ".[1]

يقول ابن الجوزي: «رأيت النفس تنظر إلى لذات أرباب الدنيا العاجلة، وتنسى كيف حُصِّلَت وما يتضمنها من الآفات» ثم ضرب المثل بصاحب السلطنة مبيناً أن نعمته مشوبة بالظلم منه أو من عُمّاله، ثم هو حذر من عدوه، قلق ممن هو فوقه أن يعزله، ومن نظيره أن يكيده، فلذته مغمورة بالحذر فيها ومنها وعليها. وأيضاً ضرب المثل بصاحب تجارة، وكيف تَقَطَّع في البلاد لنيل ما نال بعد علو السن – وقال: «وهذه الحالة هي الغالبة، فإن الإنسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه إلا عند قرب رحيله... إلى أن قال: «فإياك إياك أن تنظر إلى صورة نعيمهم، فإنك تستطيبه لبعده عنك، ولو قد بلغته كرهته، ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة ما لا يوصف، فعليك بالقناعة مهما أمكن، ففيها سلامة الدنيا والدِّين».[2]

---

(1) طرح التثريب (8/468– 469).

(2) صيد الخاطر (ص 370 – 372)

خلاصة: نظرك أيها الأخ المكرم:

إن صوبته إلى ما في يديك؛ فانظر إليه نظر كفاية وقناعة(1).

وإن صوبته إلى ما في يد من هو فوقك؛ فانظر إليه على أنه زيادة فتنة وابتلاء لهم.

وإن صوبته إلى ما في يد من هو دونك؛ فانظر إليه نظر إشفاق عليه وامتنان بما فضلك الله عليه.

** ** **

(1) وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أفلح من هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به). السلسلة الصحيحة للألباني برقم (1506).

(3)

أمسك بعض مالك

كثيرون يتداولون عبارة: أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب، وأنا أقول: أنفق ما في الجيب تندم بلا ريب....!!!

وكيف لا تندم على مخالفتك الصريحة للوسطية الاقتصادية التي ذكرها الله في غير ما موضع من كتابه العزيز، الذي يُفْترض أن يكون لي ولك دستورا يحكمنا.. وقانونا يحمينا.. ومعلما يرشدنا..

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: 29]. وهل بعد الملامة والحسرة إلا الضيق والكرب والهم والحزن؟!

ويقول جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:67].

وإذا كان أكثر من يردد العبارة السابقة (أنفق ما في الجيب...) غير مقتنع بها [فكراً] وإنما يرددها تفكها وتندرا، إلا أنك تجده واقعا تحت أسرها مُكَبَّلاً بوثاقها [واقعاً]، مُعَرِّضاً ظهره لسياطها وضرباتها!

فبعضهم لا يصبر عن صرف الدينار في المفيد والضار، وفي حاجة وفي غير حاجة، بلا تفكر وروية، ولا تريث وحسن تدبير.. وإياك أن تنخدع بتظاهره بالكمال والسعة والانبساط، فإنك لو أُعْطيت القدرة على الاطلاع على ما في الضمائر، لوجدت صاحب هذا المسلك يعيش شعورا بالنقص في أعماقه، وأسوأهم حالا من أضطر لإراقة ماء وجهه لحاجة طرأت واضْطُرَّت – لم تكن على البال –، كان قد زاحمها[1] – عما قليل – بتفاهات وسفاسف ومضيعات أنفق ماله فيها !

فلهذا وأمثاله أقول – ناصحا له ومرشدا – ما قاله النبي ﷺ لبعض صحابته: **أمسك عليك بعض مالك.** مع فارق التشبيه بينهما، فذاك ينفق في حطام الدنيا، والصحابي أراد أن ينفق في غراس الجنة، فما قصته..؟

أراد هذا الصحابي في إحدى الغزوات أن ينفق جميع ماله!

جميع ماله..؟ نعم... جميع ماله!

جميع ماله في ماذا؟ أفي سياحة أم في تجارة أم في لعب ولهو أم في مطاعم وملابس باهظة الثمن؟!

الجواب: في سبيل اللَّه !! إنه لغرض شريف، وفعل حميد.. ولكن...

---

(1) أي حاجاته الطارئة المفاجئة.

أتاه التوجيه النبوي مباشرة ليعيده إلى وسطية الدين واعتداله، فقال له: (**أمسك عليك بعض مالك**).[1]

فلا بد من النظرة الشمولية المتكاملة للمال، بحيث يوجه بعناية ودراية لا كيفما اتفق:

- فجزء منه لضروريات الحياة اللازمة المستمرة.
- وجزء منه للحاجيات المتنوعة المتكررة والطارئة..
- وجزء منه للتحسينيات والكماليات.
- وجزء منه لله جل وعلا[2].. الذي هو في الحقيقة مُدّخرٌ لك، يوم أن تلقى الله ﷻ..
- وجزء منه يُدخر لصروف الدهر ونوائب العصر.[3]

---

(1) صحيح البخاري (2757).

(2) بأنواع العبادات المالية من زكاة وصدقة ووقف وكفالة وأضحية وتفطير صائمين... إلخ.

(3) قد تجد من يستصعب ثقافة الادخار، ويتحجج بغلاء المعيشة وضعف الرواتب وازدياد متطلبات الحياة، وليعلم أن خير ما يبدأ به في هذا الجانب إدخار 10٪ من الراتب، وهي أقل نسبة ينبغي المداومة على ادخارها والبدء بها حسب كلام المختصين من أهل هذا الشأن، ثم إذا ثبت عليها فترة، فيمكن أن يروض نفسه على نسبة أعلى تزداد تدريجيا. وإياك أن تستصغر هذه النسبة، فإن النار من مستصغر الشرر، وأول البيت لبنة، وقد جرت سنة الحياة على أن الصغير يكبر، فلا تستعجل قطف الثمرة وتستطيل الطريق، فإن عاقبة هذه الخطة حميدة بإذن الله تعالى.

وكل ذلك وفق خطة مرسومة، وكيفية معلومة.

وها هنا همسة في أذن بعض المحسنين:

فقد رأينا عند حلول الكوارث العظيمة من أخذهم الحماس فقام بالتبرع بكل ماله، أو التبرع بسيارته وليس عنده غيرها، أو ببيته وليس له غيره، فإلى جميع أولئك أذكرهم بحديث كعب – أحد الثلاثة الذين خلفوا – حينما تاب الله عليه فقال: يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، فقال له عليه الصلاة والسلام: **أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك**. فقال كعب: فإني أمسك بسهمي الذي بخيبر.[1]

فهذا الإمساك لبعض المال في حق الصدقة والعبادة، فكيف فيما دونها من أمور الدنيا الحاجية والكمالية؟!

قال ابن الجوزي: «فإن اعترض جاهل فقال: جاء أبو بكر رضي الله عنه بكل ماله[2]، فالجواب: أن أبا بكر صاحب معاش وتجارة، فإذا أخرج الكل أمكنه أن يستدين عليه فيتعيش».[3]

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) أبو داود (1678) والترمذي (3675) وقال: حسن صحيح.

(3) صيد الخاطر (ص 118).

خلاصة: لما كان المال من أعظم النعم الدنيوية المؤثرة في الحياة.. يُشقي ويُسعد.. يُقوي ويُضعِف.. يرفع ويخفض.. يُهين ويُكرم.. أفلا يستحق منك أن تديره بخطة مُحكمة؟![1]

** ** **

(1) صفات المال وتأثيره المذكور هنا باعتبار غالب النفوس كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤].
وأما من تعلقت قلوبهم بالآخرة وامتلأت شُغلاً بأعمالها فنظرتهم له مختلفة لا يعدوا عندهم كحاجة لاستمرار تقويهم به على عبادة الله والتوصل به إلى المقاصد الضرورية لا محبوباً لذاته (وانظر صيد الخاطر لابن الجوزي ص 481).

(4)

كل ذي نعمة محسود

قد يُنْعِمُ الله عليك بنعم كثيرة تُحيط بك من كل جانب، وقد يُغْدِق عليك المزيد فتمتاز عن غيرك براتب أكثر، أو بيت أجمل، أو سيارة أرفه، أو أولاد ذي جمال وعقل وسمت، أو أسفار بلا تعب وتكلف، أو فتح لأبواب العبادة فتجد نفسك قارئا للقرآن في كل حين في حين أن الأكثرين هجروه، أو تجد نفسك صاحب عبادة وتنفل، أو محافظة على الصف الأول، أو قد يسر الله لك كثرة صيام أو قيام أو صدقة أو ذكر أو عمرة وحج، ويكون هذا الأمر ظاهرا ملحوظا مشهودا لا يمكنك إخفاؤه.. فتجد أحيانا أنه مع كثرة ما لديك من نعم دينية ودنيوية؛ إلا أنك قد تشعر معها بضيق منها أو كره لها، أو كسل وثقل عن فعل ما كنت تفعله وتحبه وتستسهله، فتبدأ بالتعذر والتعثر والتذمر..

فاعلم والحالة تلك أن النبي ﷺ قد أرشد فقال:

(**كل ذي نعمة محسود**).

والحسد كما يقول العلماء موجودة نبتته في داخل كل أحد، لكن الكريم يخفيه، ويفرح بما يَمُنُّ الله به على الآخرين كما لو

أنه مَنَّ عليه وأعطاه، ويدعو لهم بالبركة.. ثم هو بطبيعة الحال يتمنى لنفسه مثل ما عند غيره، دون تطلع وتشوف إلى زواله النعم من غيره.

فإذا كان الأمر كذلك، **فعليك بوقايتين عظيمتين تجاه النعم التي هي محط أنظار الآخرين:**

الوقاية الأولى: إخفاء النعم التي هي مدعاة للحسد، وذلك للحديث المتقدم، لاسيما إذا كان الأمر في طور الإنجاز ولَمَّا[1] يتم ويثبت ويشتد عُودُه، كما قال النبي ﷺ: (**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود**).[2]

ولا يُشْكل عليك هنا ما ورد من الحث على التحدث بنعمة الله، فَلِكُلٍّ من الكتمان والتحدث مجاله ووقته، قال العجلوني رحمه الله: (والأحاديث الواردة في التحدث بالنعم محمولة على ما بعد وقوعها فلا تكون معارضة لهذه، نعم إِنْ ترتب على التحدث بها حسدٌ بعده فالكتمان أولى).[3]

---

(1) لما ولم بمعنى واحد، فكلتاهما أداة جزم ونفي، إلا أن (لم) نفي للشيء الذي لا يترقب وقوعه، (ولما) نفي للشيء الذي يترقب وقوعه.

(2) رواه البيهقي والطبراني وغيرهما وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (1453)(4/27).

(3) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (1/123).

الوقاية الثاني: الرقية الشرعية بالآيات القرآنية والأدعية النبوية والاستعاذات الثابتة، فإنها كحصن حصين، ونافعة على الحالين: إذ تدفع البلاء قبل حصوله، وترفعه بعد نزوله، بإذن الله تعالى.

وللرقية والاستعاذات والأدعية المجابة مناسبة أخرى نتحدث عنها بإذن الله تعالى.

خلاصة: حصن نعمك بشكر المنعم الواحد، وإخفائها عن العدو الحاسد، ودوام الرقية والاستعاذة بالدعاء الثابت الوارد، ليكمل هناؤك فيها وتمتعك بها.

** ** **

(5)

فالـك مـن فيـك

مِنْ أسعد الناس من يملأ ذاته وداخله – منذ أن يصبح إلى أن يمسي – بأفكار الإيجابية والحيوية، والنظرة التفاؤلية والموثوقية بنفسه وذاته وقدراته ويومه وكل ما حوله..

ومن أتعسهم حالا ومقالا – ولو ملك من كنوز الدنيا ما ملك – من يقذف في داخله مئات وربما آلاف الكلمات السلبية والأفكار التنقصية عن نفسه وحياته ووظيفته وقدراته وزوجته وأولاده وكل ما حوله !

بل ربما اشتدت السلبية عليه حتى صار ينتقد مركبه وملبسه وتوافه الحياة !

فمن كان الأول: فهو المطمئنُ نفسا، المُبتسمُ ثغرا، النَّشِطُ روحا، المُتَحَفِّزُ ذاتا.. فكيف لا يكون سعيدا بما عنده وبما يسعى له؟! ولو لم يملك إلا القليل !

ومن كان الثاني: كان عكس الأول تماما، شاحبَ الوجه، ضَيِّقَ النَّفْس، مُحْتَقِرَ الذات، محاطاً بالملل والكآبة والضجر ولو أظهر لك خلاف ذلك.. فكيف لا تجدْ التعاسةُ طريقا إلى قلبه بل قصرا رحبا تسكنه؟! ولو ملك ما لا يخطر على بال !

ولقد كان من هدي نبينا ﷺ أنه (**يحب الفأل الحسن ويكره**

التطير)[1]، يعني: يحب التفاؤل والنظرة الحسنة الإيجابية للأمور والأحوال، ويكره التشاؤم والسلبية والانهزامية والضعف النفسي.

روى الطبراني أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: ها كَها خَضِرة. فقال ﷺ: (**يا لبيك، نحن أخذنا فألك من فِيك اخرجوا بنا إلى خضرة**)، فخرجوا إليها فما سُلَّ فيها سيف.[2]

قال في القاموس: الفأل ضد الطيرة، ويستعمل في الخير والشر.[3]

ويدخل ﷺ يوما على رجل في مرضه، فيقول له: لا بأس طهور إن شاء الله. فيقول: (قلت طهور! كلا، بل هي حُمى تفور أو تثور، على شيخ كبير تزيره القبور. فقال ﷺ: (**فنعم إذاً**).[4]

أي أن هذا ما سيصيبك بتشاؤمك وسوء ظنك بربك

---

(1) مسند أحمد 16/168 وسنن ابن ماجه برقم 2864، وصححه أحمد شاكر والألباني.

(2) المعجم الأوسط (185/4) عن عمرو بن عوف المزني، وفي سنن أبي داود (3917) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال: "أخذنا فألك من فيك". صححه الألباني. انظر السلسلة الصحيحة (353/2 برقم 726).

(3) عون المعبود (294/10).

(4) صحيح البخاري (3616)

وضعف عقيدتك بقدرته على شفائك وتطهيرك من هذا المرض.

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال له: (**أما إذا أبيت فهو كما تقول، وما قضى الله فهو كائن**)، قال الراوي: فما أمسى من الغد إلا ميتا.[1]

وفي رواية: فقام رسول الله ﷺ وتركه.[2]

فاحذر التشاؤم والنظرة السلبية لنفسك وللأشياء والأحوال والظروف والأشخاص، بل فارق من تجد منه ذلك بعد نصحه وتعليمه وتوجيهه، لأن التشاؤم مرض مُعْدٍ، إذا دخل العقل صعب خروجه منه إلا من رحم الله.

خلاصة: السعادة إن بُنيت على أمر مادي ملموس، فذهابها بذهابه، وقد كتب الله على كل شيء فترة بقاء ثم لحظة فناء، وأما إن بنيت على مشاعر إيجابية وكلمات طيبة وصوت من داخل النفس يتغنى بها وينشدُ ألحانها، فقد بقيت ما بقيت الروح تعمل، والقلب ينبض ويأمل.

** ** **

(1) مجمع الزوائد للهيثمي (310/2) وقال عنه ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (68/4): حسن غريب.

(2) مجمع الزوائد (302/2) وقال: رجاله ثقات. وقال ابن حجر في الفتوحات (69/4): حسن غريب من هذا الوجه.

(6)
بل هو نُسِّي

كم نساهم في تعذيب أنفسنا وتجريح مشاعرنا..! عندما نتكلم عن أنفسنا بأوصافٍ سلبيةٍ وأحكامٍ دُونِيَّةٍ، لموقف أخفقنا به، أو خطأ وقعنا فيه، أو فرصة مرت من بين أيدينا..

حقاً.. إذا كنا جائرين مع أنفسنا؛ فكيف سنكون مع غيرنا من أهل وأولاد وأصحاب وخدم ومعارف!

إن الموقف المُخْفِق، والفرصة الفائتة، والخطأ الواقع، إنما هو جزء من آلاف المواقف والفرص والأفعال، فبأي عقل ومنطق نعطي حكم الجزء النادر للكل الغالب؟!

إن الرشد في العقل، والحكمة في مثل ذلك تقتضي منّا ألا نحكم على أنفسنا بأوصاف السلب وأحكام الحط، وإنما نقول: (**قدَّر الله وما شاء فعل**)[1]، ثم ننظر للأمر على أنه ماض تعلمنا منه الدرس، ونتطلع للمستقبل بكل إيجابية وحيوية وثقة بأننا لن نُلْدغ من هذا الجحر مرتين، بل لن نجعل يومَنا كأمسِنا، وحاضِرَنا كماضينا.

وتأمل هذا الهدي النبوي في تقدير الذات والبعد عن وصفها

---

(1) صحيح مسلم (2664).

بالأحكام السلبية، يقول ﷺ: (**لا يقل أحدكم - وفي لفظ: بئس ما لأحدهم أن يقول - نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّي**).[1]

ففي عدم نسبة الإنسانِ النسيانَ إلى نفسه فوائد عديدة منها:

- نسبة الأفعال إلى خالقها وهو الله، فهو الذي يُنْسي، كما قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأعلى: 6-7].[2]

- وفيه اعتزاز بالذات والبعد عن تحقيرها وتحطيمها..

فإياك أن تحكم على نفسك أو على ولدك أو على أهلك لمجرد أمر وقع منك أو منهم! بل احكم على ما وقع لا على فاعله، لئلا تقطع عليه باب الرجوع للصواب، وتساهم بتحطيم ذاته وإذهاب قدراته وزرع الخوف من المبادرة والقيادة والتجربة والإيجابية مستقبلاً.

خلاصة: تعلم الرفق في الحكم على نفسك وعلى الآخرين، فإن أيام الدنيا فصول تعليمية لا سبيل للتخرُّج منها، والنجاح لا أن لا نخطئ، وإنما في سرعة نهوضنا إذا ما وقعنا، وفي عدم التعثر من ذات الحفرة مرة أخرى، فعش هانئاً مطمئناً.

---

(1) صحيح البخاري (5039)، وصحيح مسلم (1878).

(2) والنسيان - كما هو معلوم - لا يُذم بإطلاق، فقد يكون نعمة، كنسيان المواقف المؤلمة والحوادث العظيمة والأحلام المزعجة ومواطن الظلم والذل والقهر وغيرها.

(7)

دَعْ مـا يُريبُـك

ما نقوله ونفعله ونفكر فيه، لو أننا عرضناه على مشرحة الصواب، لوجدنا أنه بين إحدى ثلاث:

- إما أن يكون خيرا محضا = فتفويته غبن.
- وإما أن يكون شرا محضا = ففيه العتاب والعذاب.
- وإما أن يكون فيه من الخير والشر والنفع والضر بِنِسَبٍ متفاوتة:

- فإن غَلَبَ خيرُه وأُمِنَ شرُّه = فهو كالأول.
- وإن غلب شره = كان كالثاني.
- وإن تساوى الأمران، أو كان خيره مشكوكا وشره مظنونًا = فهنا في الأمر شكٌ داعٍ إلى القلق والاضطراب النفسي، سواء أَقْدَمْت وفعلته أو أَحْجَمْتَ وترددت في فعله، وسواء قبل الفعل وأثناءه وبعده..

فتأتي القاعدة النبوية لترشدك إلى الطريقة المثلى للتعامل في مثل هذه الأحوال، حيث يقول ﷺ:

(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة).[1]

جرب هذه القاعدة في كل أمور الحياة المشكوك فيها، أقوالا.. أفعالا.. أحوالا.. أشخاصا.. سلعا.. فاتركها وافعل المتيقن، فمصلحة متيقنة في اليد ولو قليلة، خير من مصلحة مشكوك فيها ولو كثرت.

وكم اندفع من اندفع ثم ندم على ما وقع، لجهله أو إعراضه عن هذه القاعدة النبوية القيمة، التي تجلب الاطمئنان، وتشرح الصدر، وتقطع هما آتيا وندما محتملاً.

خلاصة: إذا دَقَّ منبه الخير في نفسك فأقبل دون توانٍ، وإذا رَنَّ جرس الشر في قلبك فأحجم دون تردد، فإذا دار الأمر بينهما وتجاذبه كل من الخير والشر فما لم تكن جبذة[2] الخير أقوى وأغلب، فدع الأمر واقطع الريبة = فتحصل الطمأنينة.

** ** **

(1) سنن الترمذي (2518) وقال: حسن صحيح.

(2) جبذ الشيء مثل جذبه، مقلوب منه كما في الصحاح، وقيل بل هما أصلان متساويان متساوقان ليس أحدهما مقلوب عن الآخر. انظر: تاج العروس ولسان العرب.

(8)

أعطِ كل ذي حق حقه

المؤمن يعيش وفق أولويات ثابتة غير خاضعة للتغيير أو التبديل أو التقصير..

والحقوق المطلوبة منه على ثلاث مراتب:

حق اللَّه، ثم حق نفسه، ثم حق الناس. كما رتبها سيدنا رسول الله ﷺ بقوله لأبي عبدالرحمن معاذ بن جبل: (**اتق الله حيثما كنت، واتْبِع السيئةَ الحسنةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**).[1]

وهذا الترتيب الوارد في الحديث مقصودٌ.. فلا يحسن أن تكون كالشمعة تضيء غيرك وتحرق نفسك، ولا يحسن أن تحسن علاقتك بالناس وتهتم لنظرتهم لك وكلامهم فيك، وتنسى تحسين علاقتك مع ربك ونظره إليك.

ثم إن الجهد المطلوب تجاه الحقوق الثلاثة جهد توازني،

---

(1) سنن الترمذي (1987) وحسنه الألباني.

بمعنى أن تعطي كل ذي حق حقه، لا أن تقتصر على أحدها وتهمل الآخَرَيْن، ثم تركز على أحد الآخَرَيْن وتهمل ما كنت مهتما به ومؤديا حقه!

فأما حق الله فيكون بأداء الفرائض الخمس كما يريدها ويحبها، فالصلاة في أول وقتها حيث ينادى بها في خشوع تام وإسباغ طهارة وإقبال بكليتك على الله... وبأداء حق المال بإخراج الزكاة والعناية بحظ الفقير منها دون تقصير ولا تأخير ولا تكره وتبرم! مع صوم شهر رمضان في خشوع وذكر وتوبة واحتساب، وأداء لفريضة الحج العظيمة متى ما سنحت الفرصة وسمحت الصحة وتوفرت المؤونة.

فإذا أديت حجتك المفروضة مرة في عمرك، بقي عليك عناية يومية بحق الصلاة، وعناية سنوية بحق الصيام والزكاة، وهكذا يكمل فيك بنيان الإسلام، وتتعاهده بالرعاية والاهتمام.

ثم يأتي حق نفسك من الرفق بها والمحافظة عليها، وتثقيفها وتبصيرها، وأيضا مدحها وتسليتها، وإعطاء حقها من الراحة وحظها من الاستجمام... إلى آخر بقية الأمور التي أباحها الله مما ليس فيها مأثم ولا مغرم ولا عاقبة سوء !

ثم حقوق الناس يُبْدَأ منها بالأقرب فالأقرب، فحق الوالدة ليس كحق الوالد، وحقهما ليس كحق الزوجة، وحقها وحق الأولاد ليس كحق الأصدقاء والزملاء، فأعط كل ذي حق حقه بادئا بالأقرب فالأقرب، وفق منهج البِّر الذي رسمه النبي ﷺ لمعاوية بن حيدة القشيري حين سأله: **يا رسول الله، من أبر؟ قال: أمك. قلت: ثم من؟ قال: أمك. قلت: ثم من؟ قال: أمك. قلت: ثم من؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب.**[1]

وإذا كان هذا هو المنهج النبوي لحقٍ خاصٍ (حق الناس)، فانظر إلى المنهج النبوي في الحق بعمومه (حق الرب والنفس والناس) إذ يقول سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما: **إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.** فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال ﷺ: (**صدق سلمان**).[2] وفي رواية: (**ما لسلمان ثكلته أمه، لقد أُشْبِع من العلم**).[3]

---

(1) سنن أبي داود (5139)، والترمذي (1897)، وسنن ابن ماجه (3661) واللفظ للترمذي وحسنه الألباني.

(2) البخاري (1867) ومسلم (1159).

(3) الطبراني في الأوسط (7637). وعبارة ثكلته أمه أسلوب من أساليب العرب التي يحكونها ولا يريدون معناها كتربت يداك وغيرها.

ويقول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص وهو شاب صغير يومئذ حديث عهد بزواج: (**إن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا**)[1].

خلاصة: العيش وفق أولويات ثابتة ومبادئ راسخة وحقوق مستوفاة منك وإليك، لك وعليك، سبب لتحقيق الانسجام النفسي والسعادة القلبية.

** ** **

(1) البخاري (1874).

(9)

يصبر على أذاهم

إذا خالطت الناس، وأعطيت كل شخص حقه واحترامه، فاعْلم أن في مخالطة الناس أذى محتملا وضررا متوقعا..

فقد يؤذيك أحب الناس إليك أو أكثرهم جلوسا إليك أو صلاة بجانبك! إما بنظرته أو بكلامه أو بغيبته لك، أو بمعلومة خاطئة ينقلها إليك فتفسد نفسيك أو قرارك أو علاقتك بالآخرين.. أو غير ذلك من صور الأذى..

فلا بد من توطين النفس على أن مخالطة الناس ليست خيرا محضا لا شر فيه! ثم إنها لا تُترك لشر محتمل، وأذى متوقع وقد لا يقع.

فالخير في المخالطة، ولكن مع البعد عن أسباب الأذى والحسد والبغض.. وفق قواعد تَدَايُنِيَّة[1]، فأَحْترم لأُحْتَرم، لا أراقبهم لئلا يراقبونني، لا أجرح مشاعرهم لكي لا يجرح أحدهم مشاعري، أفرح لفرحهم، أحزن لحزنهم... وهكذا دواليك.

---

(1) أي على ميزان كما تدين تدان.

ثم إنك إن اجتهدت في فعل ما سبق، ومع ذلك رأيت من أحدهم ضراراً، أو سمعت منه أذى، أو وجدت منه جفوة - سواء ممن أحسنت إليه أو قربته منك، أو ممن كانت معرفتك به اعتيادية- يأتيك التوجيه النبوي ليبين لك أن الخيرية في قوة قلبك على الاستمرار بالمخالطة وتَحَمُّل الأذى، فإن أولى معايير القوة هي (قوة الصبر والتحمل).. يقول ﷺ:

(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم).[1]

ولذا فلا تقطع علاقتك بجمعٍ يُحسن إليك؛ من أجل فردٍ واحد يُؤذيك !

ولا تَبْنِ حواجز مع من آذاك ما دام في توضيح الأمر وتصفيته بدون توترات مدخل، فإن العمر قصير، والخيرية في المخالطة مع الصبر، والوقت أنفس من أن يضيع في الدخول في حروب وتطاحن مع صغار العقول أو خبثاء النفس.

ويكفيك أن تعلم أن: "من الذنوب المانعة من المغفرة الشحناء، وهي حقد المسلم على أخيه بغضا له لهوى نفسه، وذلك يمنع من المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة...

(1) سنن الترمذي (2507)، وسنن ابن ماجه (3273) وصححه الألباني.

فأفضل الأعمال: سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها.. سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ".[1] كما يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى.

خلاصة: تعبد لله في علاقتك مع الخلق، فأحسن ولو لم يحسنوا وتجاوز عمّن أساء وقَصَّر، هكذا تتمتع بعطائك لهم وعطائهم لك، وتلتذ باجتناب أجر ما أحسنت به لهم ولم يقابلوك بمثله! ولن يشقى من أطاع الله فيمن عصوه وجفوه.[2]

** ** **

(1) انظر كتابه الفريد في بابه: لطائف المعارف، نقلا عن مختصره للمهنا ص110-111.

(2) في صحيح مسلم (**2558**): أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ. فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ» [أي: تطعمهم الرماد الحار، والمعنى أنهم ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه. وقيل معناه: أنك بالإحسان إليهم تُخْزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك]. وقال له ﷺ: «ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك». ومعنى الظهير: المعين والدافع لأذاهم. [انظر شرح النووي على مسلم 16/331].

(10)

لا يُبَلِّغُني أَحدٌ عنْ أَحد

جُبِلَ اللسان على محبة الكلام في الناس ونقل كلام بعضهم في بعض، والتفكه بالحديث عن أخطائهم ومصائبهم، وتداول أخبارهم وخصوصياتهم في المجالس والديوانيات والتجمعات.

وكم أفسد نقل الكلام.. من علاقة بين اثنين؟

وكم دخل الحزن والضيق - بنقل مشاكل الناس - لطرف لا دخل له فيها؟!

فإذا فتحت قلبك وأرخيت سمعك لمن ينقل لك كلام الناس فيك وحديثهم عنك، سيما في النقد والخطأ أو الاستهزاء والحط، فقد فتحت لقلبك باب الهم والضيق والانشغال بالآخرين، وأنت الملام على أية حال! والسبب أنك سمحت لهذا الناقل المفسد أن يحط الشر الذي سمعه بأذنه وأودعه قلبه ونقله فوق ظهره.. أن يحطه أخيرا في مستودع قلبك.. فيرتاح هو وتتكدر أنت !

بل كن مع هؤلاء اللئام من حيث لا يشعرون على قاعدة: إن لم يسعفك نقلك بإسعادي، فلن أرعيك سمعي لإتعاسي.

فإن سلامة الصدر، وطمأنينة القلب، والغفلة عن أوساخ الناس وعثراتهم، شيء من الراحة لا يعدله بعد الإيمان وحسن التعبد شيء!

وهذا تماما المسلك النبوي في اجتماعه بالناس ومخالطتهم، بل لقد كان ﷺ ينهى أصحابه قائلا: (**لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**).[1]

خلاصة: كما تحرص على ما تُدخله بطنك.. عليك أن تحرص على ما تُدخله سمعك، فإن الداخل للبطن خارج ولو آذىٰ فترة، وأما الداخل للسمع، مُرتكز في الذهن، مُخيم في النفس، وبقدر رائحته زكاة ونتناً يكون وقع التأثر!

** ** **

(1) مسند أحمد وحسنه أحمد شاكر والأكثر على ضعف سنده، مع صحة معناه، والله أعلم.

(11)
أَدْخَلَ عليهِم الرِّفْق

الرفق في الأقوال والأفعال والأحوال وردود الأفعال، يجعل القلب ساكنا، والنفس مطمئنة، والدم باردا، والبال واسعا، بل والثغر متبسماً، والنتائج طيبة محمودة. أما من حُرِمَ الرفق ونُزِعَ من غالب لحظات حياته وأحوالها، فهل سيجد تلك الأمارات.. أمارات السعادة والسرور؟!

إن من أسماء الله الثابتة (الرفيق)، كما قال ﷺ: (**اللهم الرفيق الأعلى**)[1]، وقال: (**إن الله رفيق يحب الرفق**).[2]

---

(1) هذه الجملة آخر ما قاله النبي ﷺ وهو يحتظر كما روت ذلك عائشة في البخاري (4463)، وقد اختلف شراح الحديث في المراد بالرفيق الأعلى، فقيل معناه: ألحقني بجماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وقيل معناه: ألحقني بالله ﷻ. وقيل غير ذلك (انظر: النهاية لابن الأثير 246/2 و(فتح الباري 254/12).

لطيفة: نقل الحافظ ابن حجر عن السهيلي أنه قال: وجدت في بعض كتب الواقدي أن أول كلمة تكلم بها ﷺ وهو مسترضع عند حليمة "الله أكبر"، وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة "في الرفيق الأعلى".

(2) صحيح مسلم (2593).

فعلينا أن نوطن أنفسنا على الرفق في الأمور كلها.. ولنعلم أن النبي ﷺ جعل من أساسيات البيت الأسري السعيد الهانئ= وجود الرفق المتبادل بين أفراد أسرته، سواء الزوجان مع بعضهما، ومع أولادهما، وكذا الأولاد مع بعضهم البعض، بل والجميع مع الخدم والجيران والأصحاب والضيفان.. وغير ذلك.

قال ﷺ: (**إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق**).[1]

بل جعله النبي ﷺ زينة لصاحبه، فقال: (**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه**).[2]

بل ذكر أن عطايا الله مع الرفق أكثر وأعظم فقال: (**... ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**).[3]

فكيف لا يُحَصِّل أفراد البيت السعادة والراحة وحسن الفكرة

---

(1) تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي (3/228) وقال: إسناده جيد. والذي وقفت عليه في كتب المتون الحديثية بلفظ: (إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق)، وفي لفظ (دلهم على باب الرفق). وانظر السلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم (523) ورقم (1219).

(2) صحيح ابن حبان (551) وصححه الألباني في صحيح الجامع (5654).

(3) صحيح مسلم (2593).

وذهاب دواعي القلق إذا كان الله يحبهم؟!.. والعلامة في ذلك: ما أعطاهم ومَنَّ عليهم من رفق في القول والفعل، ابتداء وارتدادا.

وهنا وصفة نفسية لأصحاب العنف والغضب السريع:

استحضر في بداية انطلاق انفعالك وانبعاث غضبك أن الله أقدر عليك ممن هو أمامك الآن تُفَرِّغ فيه عنفك وغضبك وشدتك وبأسك وقسوتك وجبروتك.. بدون سبب ومبرر، أو لسبب لا يناسب حجم ما ارتكب حتى تصب عليه كل هذا العنف اللفظي والفعلي الصادر منك تجاهه. كما مر النبي ﷺ على أبي مسعود فرآه يضرب خادمه بالسوط، فقال له: (**اعلم أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منه**)[1] ! قال أبو مسعود بعدها: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا.

---

(1) صحيح مسلم (4396) والحديث بتمامه: كنت أضرب غلاما لى بالسوط، فسمعت صوتا من خلفى « اعلم أبا مسعود ». فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: « اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود ». قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ». قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا.

من الله علي وعليك بالرفق والحلم، فإن ثلثي العافية فيهما !

خلاصة: إنما الرفق بالترفق، فابدأ من الآن بالمشي متبسماً، وإبطاء سيرك، وإحسان ظنك، وأعط مجالاً لعقلك قبل انطلاق نفسك وبسط لسانك وانبعاث جوارحك.. ولا تنس سؤال الرفق ممن له من اسم الرفيق أحسنه، ومن صفة الرفق أعلاها.

** ** **

(12)

والشر ليس إليك

هنالك حقائق تؤمن بها: أن الله خلقك.. وأنك عبد له.. وأن مقتضى ربيوبيته لك وعبوديتك له أنك مهما أوتيت من قوة تبقى ضعيفا أمام قوته، ومهما حَصَّلت من غنى فأنت فقير بالنسبة لما عنده..

وأود أن أضم إلى مجموعة الحقائق التي تؤمن بها الحقيقة التالية:

وهي أن الله قد قدَّر قَدَرَك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة[1]، فلا يَسَعُك الآن.. ولم يَسَعْكَ فيما مضى.. ولن يَسَعَك في المستقبل أن تخرج عما كتبه الله لك أو كُتِبَ عليك... قيد أنملة..!

والقدر هو سر الله في الكون، ولا يمكن الخوض فيه إلا في حدود ما أَطْلَعَنا عليه وحي القرآن والسنة.. ولهذا الموضوع مجاله ومؤلفاته فلن نخوض فيه.. وإنما الذي يهمني من ذلك الموضوع: القَدْر الذي يبعث الطمأنينة في القلب، والسكينة في النفس، وراحة البال في مختلف الأحوال، وذلك بأن تعلم: أن كل تقدير الله حسن ولو ظهر لك منه بؤسا وعَنَتاً وشقاء، فالشر

(1) ورد ذلك في حديث عن عبدالله بن عمرو العاص في صحيح مسلم (2653).

ليس إليه كما كان النبي ﷺ يقول في دعائه: (**والشر ليس إليك**).[1]

ويشرح هذه العبارة قول النبي ﷺ: (**عجبا للمؤمن! لا يقضي الله له شيئا إلا كان خيرا له**).[2]

ولنفسح المجال للإمام ابن القيم، ليجلي لنا معنى نفي الشر عن الله تعالى مع كونه خالق الخير والشر، يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[هود: 56]: "وأما آية هود فصريحة لا تحتمل إلا معنى واحدا، وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم، وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم، فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة.. ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**﴾ [الأنعام: 115]، وأفعاله كلها مصالح وحكم ورحمة وعدل وخير، فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله ألبتة؛ لخروج الشر عن الصراط المستقيم... وفي دعائه عليه الصلاة والسلام: لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك.. فَإِنَّ مَنْ أسماؤُه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل؛ يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه أو أفعاله أو أقواله".[3]

---

(1) صحيح مسلم (771).

(2) رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (5 / 24)، انظر: السلسلة الصحيحة (148).

(3) مدارج السالكين (ص20).

ويقول أيضا: "وقال أَعْرَفُ الخلق بـه: (والـشر لـيس إليـك)، فهو لا يخلق شرا محضا من كل وجه، بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي، وأما الـشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزه عنه ولـيس إليـه "[1].

" واللَّه تعـالى إنمـا نـسب إلـى نفـسه الخيـر دون الـشر فقـال تعالى:﴿... بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]... الذي بيد اللَّه تعالى نوعان: فضل وعـدل، كمـا فـي الحـديث الـصحيح عـن النبـي ﷺ... فالفـضل لإحـدى اليـدين والعـدل للأخـرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه ".[2] انتهى كلامه رحمه اللَّه.

قلت: فمن علم أن اللَّه الذي خلقه قدر سائر أحواله وشؤونه، وأيقن أن كل تقديره حسن وخيـر، اطمأنـت نفسه قبـل حـصول المقدورات المكروهات، وسكنت أيـضا عنـد حـصولها، بحـسن عقيدته بربه وقدره، والتي تمنعه من التأسف والتحسر، وبحسن صنيعه باتباع هديه، في التصبر والحمد والدعاء والاسترجاع بلا تبرم ولا تذمر.

وتأمل هـذا الكـلام الرائـع مـن ابـن القـيم رحمـه اللَّه تعـالى،

---

(1) شفاء العليل (1 / 169)

(2) شفاء العليل (1 / 270-271)

يقول: "... أنه – أي النبي ﷺ – نهى الرجل بعد إصابة ما قُدِّر له أن يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان، فإنه لا يُجْدي[1] عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور، واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك، وذلك يُضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا أعرض القلب عن هذا انفتح له عمل الشيطان، وما ذاك لمجرد لفظ (لو)، بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر، والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية، وأنه ما شاء الله كان ولا بد، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، فصلوات الله وسلامه على من كلامه شفاء للصدور، ونور للبصائر، وحياة للقلوب، وغذاء للأرواح، وعلى آله، فلقد أنعم به على عباده أتم نعمة، ومن عليهم به أعظم مِنَّة، فلله النعمة وله المنة وله الفضل وله الثناء الحسن".[2]

---

(1) بمعنى: ما يُغْني ولا يدخل عليه.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين (3/186).

خلاصة: بقدر معرفتك بخالقك وقوة علاقتك به، يحلو مذاق قدره عليك ولو كان مُرًّا، فما أطيب عيش العارفين باللَّه عزَّ وجل كما يقول ابن الجوزي.[1]

** ** **

(1) صيد الخاطر (ص 251).

(13)

صدق اللَّه.. وكذب بطن أخيك

موجة عارمة أصابت العالم الغربي منذ تضعضعت مكانة الدين وعلمائه في نفوسهم، وهي بطبيعة الحال تكاد تستشري في العالم العربي الجائع لكل ما هو غربي مستورد! سواء كان فكرا أو خلقا أو سلوكا أو شكلا أو... !

إنها مشكلة (التشكك) في كل شيء.. سواء كان ذلك الشيء مُسَلَّما دينيا وعقليا وطبيعيا أو نتاجا بشريا فكريا أو تجريبيا...!

بل بلغ الشك ببعضهم إلى أنه لا يدري أهو نائم الآن أم مستيقظ؟! واقف أم قاعد؟! لابس ثوبا أبيض أو أسود؟! ففي كلِ جوابٍ عِندَهُ نِسْبَةُ شَكٍّ تَخْرِمُ جَزْمَه!

ووا أسفا على زمان شبابنا الذين هم قوام مجتمعاتنا، فإن الأصناف المفترسة لعقولهم ومسلماتهم وثوابتهم متعددة.. مُمَكَّنة.. مُلَمَّعة!

بدءً من الفرق المخالفة..

ثـم أصـحاب الحريـة المطلقـة المـستعلية علـى كـل مـا هـو مقدس!

مـرورا بموجـات الإلحـاد والتفلـت مـن كـل فكـرة وشـعور وضمير!

وصولا إلـى بعـض كُتـابٍ صـحافيين - أو إن شـئت فـسمهم مُسْتَكْتَبين – ينخرون في مقـالاتهم عقـول القـراء ليبعـدوها عـن صفاء التدين والعقيدة والفطرة..!

انتهاء بالكتب الغربية الفلسفية المترجمة، التي تجر عقل قارئهـا جـرا و(جريـر)اً لمـستنقعات الحـب والعلاقـة، وتقـزيم الأديـان بعامـة، وتقـديس العقـل والـذات، والغـرور بـالنفس والاغترار بالفكر، والتعالي على المجتمع، والتـشاؤم - المبـالغ فيه – من واقعه..

لتَحْدُث – بعد ذلك – الهزيمة النفسية، والانبهـار بـالغرب، لدرجة الانـصهار فيـه روحـا ومـضمونا وتـدينا..! فيـصبح ينظـر بنظره، ويفكر بنمطه، وينسلخ من دينه كانسلاخه..!

وليس يسمح المضمار الذي نحن فيه بإيراد شبههم، وكشف تـزييفهم، وإثبـات حمـق عقـولهم، وإنمـا المقـصد الأسـمى مـن عنوان هذه الكلمة التي هي (**صدق الله وكذب بطـن أخيـك**) هـو

تبصير المسلم - المحافظ على دينه - بالمسلك الشرعي الذي ينبغي أن يتعامل به مع أصناف هؤلاء المرضى الذين تقدمت الإشارة إليهم.

فالشبهة عندما تَرِدُ على المُسَلَّمَة الدينية والثوابت الفطرية والقيم اليقينية:

قد يمكن ردها والجواب عنها.

وقد لا يمكن ذلك: لا لضعف من ألقيت عليه، وإنما لأجل أن السؤال المتضمن للشبهة في أصله غلط، والغلط لغو، واللغو لا يُفْهم، لأنه ليس بكلام مركب على قواعد صحيحة ولغة سليمة، فكيف يُطالِبْ صاحِبُه الآخرينَ بجوابه؟!

ولذا عندما أخبر النبي ﷺ الصحابة يوما (**لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله**)[1] هل أجابهم على السؤال؟!

وفي رواية: (**يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**). أمرهم بالاستعاذة والانتهاء عن هذه الوساوس، فلِمَ لَمْ يُجِبْهم؟!

---

(1) صحيح البخاري (6866)

الجواب: لأن السؤال في أصله غلط، والغلط لغو، واللغو يُلغى ولا يجاب..!

وبيان ذلك: أن في الوجود ثمت خالق وثمت مخلوق، والفرق بينهما أن الأول صادر منه فعل الخلق، والثاني واقع عليه فعل الخلق، وعليه: فالذي يصح أن يتوجه إليه سؤالُ مَنْ خَلَقَه؛ هو المخلوق (المفعول به)، لا الخالق (الفاعل)! فكيف يصح جوابٌ لهذا السؤال المغلوط في أصله؟!

وهاهنا درس نبوي عملي للثبات واليقين أمام من يحاول هز العقيدة وتهميش الثوابت: فعن أبي سعيد أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه. فقال: اسقه عسلا. ثم أتى الثانية فقال: اسقه عسلا. ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلا. ثم أتاه فقال: قد فعلت. (وفي رواية: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا)[1]! فقال ﷺ: (**صدق الله وكذب بطن أخيك**)[2] اسقه عسلا، فسقاه فبرأ.[3]

فادفع عن يقينك ما تسمع من أذى، بسلاح الاستعاذة

---

(1) الاستطلاق: الإسهال.

(2) المراد قوله تعالى في [سورة النحل: 69]:{ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس} وهو العسل.

(3) صحيح البخاري (5684)و(5716)، وصحيح مسلم (2217).

والكف عن سماعه أو قراءته أو التفكير فيه، وقل: صدق الله وكذب المتحدث أو الكاتب أو الفكرة! لاسيما وقد علمت أن المحرك لهؤلاء الأعوان هو الشيطان![1]

وأعوان الشيطان هؤلاء قد أخبر عنهم النبي ﷺ فقال: (**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم**).[2] وقال: (**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم**).[3]

إذن حديث (**صدق الله وكذب بطن أخيك**) بمثابة قاعدة شرعية لمن شك في شيء من أمور الدين عنده فيه من الله برهان.

خلاصة: احرص على عدم تعريض النفس للفتن والشبه، فإذا عرضت بدون سعي لها:

فإن كانت تقف على ساق علمية وفكرية معتبرة، فالمجال مفتوح للاجتهاد في ردها بالأدب والعلم والمنطق الصحيح.

---

(1) أخذا من قوله في الحديث السابق (يأتي الشيطان أحدكم...).

(2) صحيح مسلم (6).

(3) صحيح مسلم (7).

وإن كانت هَشَّة المُسْتند، كَلَّتْ القواعد، وَعِرَة البُنيان، رَكِبَ الغلط أساسها وخلاصها، فإنَّ تَكَلُّفَ جوابها مشاركةٌ في الغلط، لأن ما بني على غلط فهو غلط، فإذا كان السؤال غلط فجوابه مثله!

وإن كانت ذات بريق وسبك وحبك، فليتحصن المرء منها بالاستعاذة والتمسك باليقين والانتهاء عن سكرة الفكرة حتى تدبر عنه بإدباره عنها.. و(إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتن)[1] بغفلته عنها، وجَنَّبَ الفتن بقوة جوابه عنها.

ولا تعاجلنا أخي القارئ بالملامة، فإننا نرحب بالاستفادة من تجارب وخبرات وأفكار الأمم، لكننا نراعي صون عقيدتنا وحفظ ديننا والتمسك بمبادئنا الشرعية، وأما ما وراء ذلك فالأمر فيه متسع، على حد قول النبي ﷺ للصحابة: (**انظروا قريشا، فخذوا من قولهم، وذروا فعلهم**).[2]

** ** **

(1) جزء من حديث نبوي، رواه أبوداود (4263) وصححه الألباني.

(2) أخرجه الدارقطني في الإلزامات والتتبع برقم (86) وصححه.

(14)

أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم

الناس صنفان: صنف من العامة، وصنف يختص بنوع تمييز، وأحسن ما يُمَيَّز المرء به صلابة دينه وسمو نفسه.

وقد كتب الله على كل نفس حظها من الخطأ والزلل، فما من مكلف معصوم.. ولكن جعل الله ذوي الهيئات الدينية أقل الناس خطأ، وأبعدهم زللا، لأن الدين كالسياج العظيم، من دخله صان نفسه من كثير من المحرمات والجنايات، لأنه بعيد بطبيعة الحال عن أسباب الفتن وجواذب الإثم ونزغات الشياطين، والموفق من وفقه الله ثم ثَبَّته.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى مسلك حميد أراده منا في التعامل مع أخطاء ذوي الهيئات والشرف والمروءات، حينما قال: «**أقيلوا**[1] **ذوى الهيئات عَثَرَاتهم إلا الحدود**».[2] وفي رواية: «**زلاتهم**».[3]

---

(1) أمر من الإقالة، أي: اعفوا. عون المعبود للعظيم آبادي (12 / 25).

(2) سنن أبى داود (4377) وصححه الألباني.

(3) صحيح ابن حبان (94).

و(ذوي الهيئات) هُمُ: "أصحاب المروءات والخصال الحميدة والأخلاق المرضية"[1]، يقول ابن الأثير: "الذين لا يُعْرَفُون بالشر فَيَزِل أَحَدُهم الزَّلَّة... ويريد به: ذوي الهيئات الحسنة، الذين يَلْزَمُون هيئةً واحدة، وسَمْتاً واحداً، ولا تَخْتَلفُ حالاتهم بالتَّنَقُّل من هيئة إلى هيئة".[2]

وإنك إذا تأملت بُعْد الواقع عن هذا الإرشاد النبوي، لوجدت أن ترك التزامه في المجتمع أحد أسباب شقائه وبؤسه وانحلال كثير من روابطه، فوسائل الإعلام الرسمية ووسائل التواصل الاجتماعي طافحة بمثل هذه المخالفات، فإنك تجدهم يسارعون بل يتنافسون في نشر الأخبار السلبية وجرائم الناس وعثراتهم بتثبت أحيانا وبلا تثبت في كثير من الأحيان، ناهيك عن المبالغة في تصوير الأمر وحبك الخبر، استعجالا منهم في النشر والانتشار، والشهرة والكسب، وما علموا أنهم يستعجلون لأنفسهم كسب الآثام الحارقة والسيئات الماحقة لكل بركة وخير، وليس وراء ذلك إلا التمزيق والتفريق بين صفوف المجتمع الواحد!

---

(1) عون المعبود (12 / 25).

(2) النهاية في غريب الأثر (5 / 667).

يقول ابن الجوزي: «.. أكثر الناس على غير الجادة، وإنما يمشون مع العادة... يتزاورون فيغتاب بعضهم بعضاً، ويطلب كل واحد منهم عورة أخيه، ويحسده إن كانت نعمة، ويشمت به إن كانت مصيبة، ويتكبر عليه إن نصح له، ويخادعه لتحصيل شيء من الدنيا، ويأخذ عليه العثرات إن أمكن...».[1]

فهؤلاء حين لم يستروا الزلة ويقيلوا العثرة ويقبلوا العفو ويعرضوا عن الجاهل؛ لو قُدِّر لهم أن تنزل عليهم شهادة من السماء، لنزلت الشهادة في ذم أخلاقهم، على العكس تماما من الشهادة الربانية للأخلاق المحمدية.. قال محمد بن علي بن الحسين بن علي: " إن الله جلّ وعزّ أدّب محمداً صلى الله عليه أحسن الأدب، فقال تبارك وتعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. فلمّا قَبِلَ عن ربه جل وعز، وعَمِلَ بما أمره به ربُّه؛ أثنى عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: 4].[2]

---

(1) صيد الخاطر (ص 476).

(2) الفاضل لابن المبرَد (ص14).

خلاصة: أعطِ نفسك فترات تتأمل فيها أحوال الناس وصينعهم في المجالس ووسائل التواصل، واعرض ما تشاهده وتسمعه على القيم والأخلاق والمبادئ والمروءة، ستجد أن الأعم منغمس في الآثام والإضرار، فاجتنب رديء صنيعهم والانجراف لمحاكاتهم = تسعد.

** ** **

(15)

شيطان يتبع شيطانة

كثيرةٌ هي الصوارف في الدنيا عن ذكر الله تعالى، سواء الذكر الواجب بإقامة الصلوات والأوامر، أو الذكر المستحب كعبادات اللسان من الأذكار والدعوات والاستعاذات وسائر المستحبات.

والله جل وعلا حذر في كثير من آيات كتابه من الاغترار بالدنيا والانشغال بمغرياتها، بأساليب متنوعة:

فتارة بالنهي عن الاغترار بها صراحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[فاطر: 5].

وتارة بذم اللهو والانشغال بالتكاثر: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: 1].

وتارة بذم الغايات المذمومة التي يعيش لأجلها السفلة من الناس: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ...﴾ [الحديد: 20].

وعلى هؤلاء ينطبق قول الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: 7]. وعنهم يقول تعالى محذرا: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [النجم: 29-30].

وتارة ببيان حقيقة أكثرنا تجاه الدنيا: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[الأعلى: 16-17].

وغير ذلك في آيات عديدة وأساليب متنوعة...

والحقيقة أن جميع هذه التحذيرات والإنذارات لن تجدي ما دام أن الإنسان يتخذ الشيطان وليا، ويُسَهِّل عليه منافذه إلى بدنه وفكره ونفسه، وَلَكَم حذَّر الرب من اتباع خطوات الشيطان واتخاذه وليا، ولكن أين الذين يراقبون تحركاته كما يراقب هو تحركاتهم؟!

رأى النبي ﷺ يوماً رجلاً يتبع حمامة [أي: يقفو أثرها لاعبا بها]، فقال: (شيطان يتبع شيطانه).[1]

فسماه شيطانا لمباعدته عن الحق واشتغاله بما لا يعنيه، وسماها شيطانة لأنها أورثته الغفلة عن ذكر الله.[2]

بل سمى الله الزوجة والولد حينما يفتنان المرء عن دينه (عدوا) كما سمى الشيطان عدوا[3]، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟

(1) سنن أبي داود (4940) وصححه الألباني.

(2) انظر: عون المعبود (13/194).

(3) محل التحذير من الزوجة والولد في حق الذين يشغلون عن حقوق الله تعالى أو يصدون عنها (راجع التفسير الميسر ص557).

﴿وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: 14]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6].

وهكذا انظر إلى حالك، مع ديوانيتك.. مبارياتك.. قهوتك.. فُسحتك.. سفرتك.. زوجتك.. أولادك.. تجارتك.. وظيفتك... إلخ، متى ما رأيت أنها أَلْهَتْكَ عن واجب، وَأَشْغَلَتْكَ عن ذكر ربك، وَقَطَعَتْ عليك الطريق إلى الآخرة، فاعلم أنك في تلك اللحظة: شيطان.. تتبع شيطانة !

وعندها، لابد من جلسة مصارحة مع النفس، تضع فيها النقاط على الحروف، فتعيد ترتيب سلم أولوياتك (الآخرة قبل الدنيا)، وتقدم الفرائض الدينية على سائر الشؤون الدنيوية، وتسأل اللَّه بإلحاح وصدق أن يرزقك فعل الخيرات، وتستعيذ منه سائر يومك من الشيطان الرجيم، فمن ثبت فقد وُفِّق، ومن صُرِف عن ذلك، فلا يسعنا إلا أن ندعو لهذا الزاهد بالآخرة، المتعبد في محراب إبليس: اللهم اصرف وجهه عن النار!

وأظن هذه الفِقرة تغني عن وضع خلاصة!

** ** **

(16)

إذا استودع شيئا حفظه

خالطتُ أناساً نوافذُ قلوبهم مُفَتَّحة على الدوام للخوفِ من الواقع والمتوقع..

يعيشون داخل دائرة الوهم جُلَّ حياتهم، ويقضون في غياهب الخوفِ والهَمِّ غالبَ أوقاتهم، فلا تسأل عن شعورهم النفسي السلبي، وأثر ذلك على طبيعة علاقاتهم الاجتماعية الرتيبة، ووجوهم المُرْهَقَة الشَّحِيبة، بل على سائر شؤون حياتهم..!!

حتى أنك لتجد الواحد منهم - وقد استفحل به الداء - ليقلب ما لا يخطر على البال ترحا، ويظن فيما لا يختلف فيه اثنان أنه خير= شرا، فهو كلابس نظارة سوداء، مهما أريته الألوان والأشكال والجمال، رآها سوداء معتمة..!!

ولاشك أن الخوف والتخويف نوع بلاء، فالله جل وعلا قال: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...** ﴾[البقرة: 155].

كما أنه لاشك أن من الخوف ما هو طبيعي، متى ما كانت أسبابه واقعية لا يختلف فيها اثنان، كمن يخاف ظالما أو

حيوانا مفترسا أو الخوف حال حرب قائمة أو الخوف على الولد وما أكثره، وقد قال ﷺ: (**الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة**).[1]

فإذا كان الأمر كذلك؛ فإن مما يُـذْهب الخـوف ويُزيـل أثـره، مدى عمق إيمانك بعقيدة القضاء والقدر، وهي في مجملها:

أن تؤمن أن الله خلق الخلق، وكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم إن هذا المكتوب ما شاء الله أمضاه وقضاه، وما شاء أن يمحوه بعد أن قدره فهو كذلك أيضا، قال تعالى: ﴿**يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ**﴾ [الرعد: 39].

وهذا الذي قدره الله من عطاء أو منع، لا يملك أحد أن يقف في وجهه مهما عَظُمَ شأْنُه في الدنيا، وهذا معنى ما تقوله من أذكار - بعد رفع رأسك من الركوع وبعد الفراغ من صلاتك-: (**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**).[2] ويقول سفيان الثوري: أتدرون ما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله؟ يقول: لا يعطي أحد إلا ما أعطيت، ولا يقي أحد إلا ما وقيت.[3]

---

(1) صحيح الجامع (1990) وأصله في سنن ابن ماجه (2972).

(2) صحيح البخاري (6330) وصحيح مسلم (477) ومعنى (لا ينفع ذا الجد...) أي: لا ينفع ذا الغِنَى منك غِنَاه وإنَّما ينفعُه الإيمانُ والطاعة. (النهاية لابن الأثير 1/702).

(3) حلية الأولياء (7/10).

وكذا الأمر فيما أصابك أو أخطأك، كما كان النبي ﷺ يُعلم صغار الصحابة: (**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**).[1]

والأمر كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿...**فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾ [يوسف: 64]، فعلى ماذا تخاف وتقلق وتضطرب؟! وقد علمك نبيك ﷺ: (**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**).[2]

هذا من جهة قوة الاعتقاد ومتانته وصلابته، وثمة أمر آخر يتعلق بالسلوك والقول، وهو أن ما تخافه أو تخاف عليه: استودعه عند ربك، فمن استودع الله شيئا فلن تضيع وديعته، كما حدث النبي ﷺ عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يوما: (**إن الله ﷻ إذا استودع شيئًا حفظه**).[3]

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (11080)، ومسند عبد بن حميد (636)، قال ابن حجر: ورواه الترمذي مختصرًا وقال: حسن صحيح. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (135/7).

(2) سنن الترمذي (2516) وصححه الألباني.

(3) مسند أحمد (5605)، صححه أحمد شاكر، وانظر السلسلة الصحيحة (2547).

خلاصة: متى ما وجدت أشياء توهمت النفس ضياعها، وقلقت بشأن احتمالية فقدها أو تضررها، فقل: اللهم إني استودعك ولدي أو حاجتي يا من إذا استودعت شيئا حفظته[1]، وستجد سكون اضطرابها وحصول طمأنينتها... كأنَّ ماء باردا سُكب على قلبك فأطفأ حرارة وهمه، وشرارة قلقه، ثم مضيت في شؤونك بثقة عالية واطمئنان بديع.

** ** **

(1) ولهذا أصل في السنة النبوية كما قال ﷺ: (من أراد أن يسافر فليقل لمن يُخلِّفُ: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه)(السلسلة الصحيحة 1/51، وأصله في سنن ابن ماجه (2295) وإذا كان هذا وارد بخصوص السفر، فحديث (إن الله إذا استودع شيئا حفظه) – وقد مضى تخريجه – يدل على عموم الأحوال، والله أعلم.

(17)

ليغان على قلبي

فاقد الشيء لا يعطيه !

عبارة من معين أمثالنا، وتَرِد كثيرا على ألسنتنا، وهي على قدر كبير من الصواب والواقعية.

وأقول أيضا: فاقد الشيء، يَعْظُم أثر فقده للشيء إذا كان يوما من الأيام في يده، يتمتع به وينعم به ثم يفقده.

ولذا فإنك تجد حزن من فقد ولدا بموته، ليس كحزن من عدم ولدا لعقمه، فالأول مصيبته أعظم وحزنه أعمق.

يقودنا هذا المدخل المهم إلى قضية مهمة تتعلق في سائر من سلك طريق العبادة لله تعالى، كمن داوم على أذكار الصباح والمساء، أو السنن الرواتب، أو قراءة ورد من القرآن، أو قيام ليل... إلخ، ثم انقطع عن ذلك، فينظر في نفسه فيجد أن ثمة ضيق خيم على قلبه، لا يدري ما مصدره أو سببه.

ويحرص الشيطان على أن يُبعد عن فكره ربطَ هذا الضيق بترك الخير الذي كان يمارسه، ويلقي في روعه شبهة النظر إلى حال أهل الغفلة والدنيا، كيف يضحكون ويفرحون ويستمتعون مع أنهم منصرفون عن الخير فرضا ونفلا..؟!

وما علم المسكين أن هؤلاء عُجِّلت لهم حسناتهم في الدنيا، وأنهم لا يشعرون بما يشعر به لأنهم ما جربوه أصلا، فغفلتهم عميقة متجذرة.

فالخير هو المداومة على الخير وإن قل، وعدم تركه بالكلية، وقليل دائم خير من كثير منقطع، مع النظر في المعاصي الطارئة أو التي لم يتم التخلص منها لأنها هي الحاجبة عن ذلك الخير، الصادة عنه، المُعيقة له.

فمن حَلَّ الضِّيقُ ضَيْفًا على قلبه بلا سبب ولا ميعاد، فليبارزه بكثرة الذكر والاستغفار لرب العباد، فهذا مسلك نبوي يحكيه أفضل خلق الله وأحبهم إليه حيث يقول: (**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**).[1]

" والغين: الغيم، أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى، فإن عَرَض له وقتا ما عارضٌ بشري يشغله من أمور الأمة والملة ومصالحهما، عد ذلك ذنبا وتقصيرا فيفزع إلى الاستغفار".[2]

وقال السفاريني: «.. وقيل: المراد الفترات والغفلات عن

---

(1) صحيح مسلم (2702).

(2) النهاية لابن الأثير (3/759).

الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فَتَر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً فاستغفر منه».[1]

خلاصة: ما امتلأ قلبٌ إيماناً وتعظيماً لله تعالى إلا وعلم أن الاستغفار الكثير سبب رئيس للسعادة، بل الخير موقوف عليه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

** ** **

(1) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (ص 378).

(18)

خَبْءٌ من عمل صالح

أمر الله ﷻ بالإخلاص في عبادته، ويكفي أن ننقل هنا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

ومن هنا فقد اتفق العلماء على أن لقبول العبادة شرطان: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول ﷺ. [1]

والحقيقة أن الخلاص من صوارف الإخلاص قد لا يحسنه العابد في كل مرة، فتتأرجح النفس في تمكنها من الإخلاص وتهذيبها من الرياء والسمعة وحب المدحة والتطلع للغير بحسب قوة إيمانها وقت التعبد أو ضعفه.

كما أنها إذا تغلبت على نوازع النفس ونزغات الشيطان وأخلصت أثناء أداء العبادة، قد لا يؤمن عليها من شوائب الإخلاص بعد الفراغ من العمل وظهور آثاره على الوجه والسمت والنفس!

وحينئذ لابد أن توطن النفس على عبادات السر، وأن تتخفى فيما يمكن إخفاؤه من العبادات كالتطوعات وقيام الليل

(1) انظر: لقاءات الباب المفتوح لابن عثيمين (2/90).

ونحو ذلك، فمن وجد نفسه مُحبة للتعبد في الخفاء أكثر من العلن فقد لمس بيديه حقيقة الإخلاص.

وهذا معنى قول النبي ﷺ: (**من استطاع أن يكون له خبء** [أي: شيء مخبوء أي مدخر عند الله] **من عمل صالح فليفعل**).[1]

فالخبيئة هذه هي المعول عليه من الأعمال في الآخرة، إذ النوايا السيئة لم يسلم منها يومئذ العالم وقارئ القرآن والمجاهد، فكيف بمن دونهم؟!

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة:

رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم،

---

(1) صحيح الجامع للألباني (6018)، والشرح من التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوى (2/765).

وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكن ليقال إنه جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه فألقي في النار.[1]

كما أنها – أي الخبيئة – هي المرتكز إذا زلت القدم في الدنيا وحلت المصيبة بسببها، كما ارتكز عليها الثلاثة في الغار، فانفرجت الصخرة ونجو بأعجوبة.

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم. فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.

فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني

(1) سنن النسائي (3137) وصححه الألباني.

يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها. فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق فساقها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك؛ ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك؛ ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك؛ ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا.[1]

(1) صحيح البخاري (3465).

خلاصة: اجعل لك خبيئة من الخير بقدر ما لك من خبايا الشّر حتى تزاحم هذه بهذه فتنجو، وكما أن خبايا الشر سبب لسوء الخاتمة، فكذلك خبايا الخير سبب لحسن الخاتمة بإذن الله. بل إن «من أصلح سريرته، فاح عبير فضله وعَبَقَت القلوب بنشر طيبه «كما يقول ابن الجوزي».[1]

** ** **

(1) صيد الخاطر (ص 355).

(19)

لك ما نويت

تتبعت أحاديث النبي ﷺ في شأن الصدقة بحثا عن حديث واحد يبحث فيه النبي ﷺ عن حال السائل ويتأكد من صدق دعواه الفاقة والحاجة ويُكلف الصحابة التحقق من ادعائه؛ فلم أظفر بشيء، بل الذي وجدته أنه كان يُسأل فيُعطي.

وكان ﷺ يكتفي في مجالسه ومجامعه وخطبه وحديثه بالتحذير من التسول بلا حاجة وسؤال الناس من غير بأس، وادعاء الفاقة والفقر كذبا وزورا، وفي ذلك أحاديث كثيرة وصحيحة ووعيد شديد في حق هؤلاء.

ولعل سبب عدم سؤاله أمران:

الأول: طُهْر المجتمع الذي تربى على يديه واهتدى بتعاليم شريعته.

الثاني: أنه ﷺ تعود ألا ينظر للناس بعين الريبة والشك، بل يتعامل مع ظواهرهم، ويغتفر زلاتهم، ويلتمس العذر لمخطئهم، ويحمل كل ما يمكن حمله على السلامة وحسن الظن.

هذا هو الهدي النبوي – فيما أحسب – مع سائليه، خلافا لظاهرة انتشرت في زماننا، حيث تجد الواحد يُرْهق نفسه كثيرا في التحديق بسائله، والتفتيش عن حالته، والتنقيب عن صدقه، حتى أنه ليَرُدَّ السائل بالوهم والظن المجرد، بل تجد الشيطان نجح معه في أن يغلق عليه – في غالب أحايين سؤال الناس له– أبواب وفرص الصدقة التي تمر به في حياته بسبب هذا الإرهاق والتفتيش والاحتراز.

وما علم أن الذي ينبغي له أن يتعامل به هو ظاهر الأحوال، وأنه مأجور في تصدقه على أية حال، سواء وضعها في يد محتاج حقيقي، أم مزيف لم يكن يعلم حقيقته.

وقد جرت حادثة لطيفة بين أب وابنه في زمن النبي ﷺ، فانظر كيف تعامل معها وحل إشكالها:

يقول معن بن يزيد السلمي: كان أبي (يزيد) أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد [أي أذن لهذا الرجل أن يتصدق بها على محتاج إليها نيابة عنه][1]، فجئت فأخذتها [أي من الرجل الذي في المسجد بإذنه لا بطريق الاعتداء]، فأتيته بها [أي أتيت أبي بها] فقال: والله ما إياك

(1) وفائدة هذا الاستخلاف في الصدقة ولاسيما صدقة التطوع لأن فيه نوع إسرار. قاله الحافظ ابن حجر.

أردت! فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا مَعْن**)[1].

أي أنك نويت أن تتصدق بها على من يحتاج إليها، وابنك يحتاج إليها، فوقعت الموقع، وإن كان لم يخطر ببالك أنه يأخذها. ولك ما أخذت يا معن لأنك أخذتها محتاجا إليها.

بل إن تلك الصدقة لو وقعت لعاص - وربما يستعين بها على شيء من معاصيه – وأنت لم تكن تعلم حاله؛ لصحت عند ربك وأُجِرْتَ عليها، كما يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قال رجل لأتصدقن بصدقة،

فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة.

فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة.

فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني!

فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي [يعني رآى في المنام] فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن

(1) صحيح البخاري (1422) وانظر الشرح في فتح الباري (4/371 – 374).

زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله).[1]

خلاصة: تَحَصَّل مما تقدم:

1 - أنك غير مأمور بالتنقيب عن أحوال السائل، بل إما أن تعطيه عند مظنة الصدق والسلامة، أو أن ترده بلطف بلا عنف ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10] عند مظنة الريبة.

2 - أنك متى ما أعطيت صدقتك من لا يستحق ولم تكن تعلم، فإن أجرك موفور، وسعيك مشكور، وتجارتك مع الله لن تبور.

صح عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: (للسائل حق وإن جاء على فرس).[2]

قال الخطابي: "معناه الأمر بحسن الظن بالسائل إذا تعرض لك، وأن لا تجبه بالتكذيب والرد مع إمكان الصدق".[3]

تنبيه: وما سبق في شأن الصدقة خلافًا للزكاة التي يوجب الفقهاء لصحتها وإجزائها تحري وقوعها في يد مستحقيها من الأصناف الثمانية، ومحل بسط ذلك في مدونات الفقه.

---

(1) صحيح البخاري (1421).

(2) رواه أبو داود في سننه (1665) وأحمد في مسنده (1730) وجود إسناده الحافظ العراقي وصححه السيوطي.

(3) جامع الأصول لابن الأثير (455/6).

(20)

لم أُوْمَر أن أنقب قلوب الناس

الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل مطلب متفق عليه في جميع الشرائع، وعند كافة الحكماء والعقلاء وعلماء النفس والتربية والاجتماع.

وأعلى أنواع الإحسان إحسان الظن، فإن من حسن ظنه بالأشياء أحسن التعامل معها في لفظه وسلوكه.

بل إن ذلك المُحْسن أو المُحَسِّن لظنه بالناس تجده في نعيم نفسي دائم، وسكون روحي ثابت، وانشراح وجه ونفس لا تجد مثله عند سيئي الظن ممن تشحبت وجوههم واسودت، وكلت نفوسهم وخبثت من جراء مراقبة الناس ورمقهم بالعيون، وتحليل سلوكياتهم، والتوقف طويلا عند مقالاتهم ومواقفهم، فلا تهنأ لهم نفس، ولا يهدأ لهم بال حتى يَعْرضوا من حولهم على مشرحة عقولهم ومنخلة ظنونهم، وشخل كل ما يصدر منهم تجاههم أو تجاه غيرهم حتى..!

بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بقطع ذهبية صغيرة من اليمن أُخْرجت من مقرها ولما تُخَلَّص

من تراب المعدن بعد، فقسمها النبي ﷺ بين أربعة نفر من أصحابه. فلما سمع الناس (قريش والأنصار) بذلك، غضب بعض رجالهم وقال: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟!). فقام رجل فقال: يا رسول الله، اتق الله.

[ويله ما أجرأه، أتشك في رسول الله ﷺ أنه لا يتقي الله..؟! والله لو لم يكن رسول الله متقياً لربه فما في الدنيا رجل تقي، لكنه سوء الظن والجرأة على الأفاضل!!!].

فقال ﷺ: ويلك، أَوَلَسْتُ أَحَقُّ أهل الأرض أن يتقي الله؟ ثم ولى الرجل [هكذا بدون اعتذار ولا ندم].

فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: لا، لعله أن يكون يصلي. فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال ﷺ: (**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**). أي: إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم.

ثم خُتِم الحديث بقول النبي ﷺ عن هذا الرجل وهو ينظر إليه منصرفا بلا اعتذار وهو مُقَفٍّ: (إنه يخرج من ضئضيء هذا

[يعني نَسْلَهُ وَعَقِبَهُ] قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدنيا كما يمرق السهم من الرمية).[1]

خلاصة: لا تُتْعب نفسك في تحليل شخصيات الناس وصدقهم وأفعالهم، بل عليك بالطلاقة والبشر مع الجميع، فمن كان ظاهره العدالة والسلامة فمطلوب حسن الظن به، ومن عَرَضَ في قلبك تجاهه ظن سيء به بسببٍ يوجب الريبة، فدعه ولا تشغل نفسك به، والأمر كما تقدم معنا (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك).

أما أن تستمر في مصاحبته ومجالسته وإدنائه وتقريبه، ثم تُتْعب نفسك في مراقبته وتحليله وتفتيشه وتنقيبه... فذاك تعب ونصب أنت في غنى عنه، فضلا عما تكسبه من آثام الظن السيء إذا بان ظنك في غير محله، بل وقلما رُبِّيت النفس على ظن السوء بالناس إلا وفتحت لها أبواب الغيبة والنميمة والكذب والمبالغة والتهويل..... في سلسلة طويلة من الصفات المقبوحة والخصال الممجوجة!

** ** **

(1) صحيح البخاري (4351)، وانظر شرح الحديث في فتح الباري 8/84-86.

(21)

لم يُسرع به نسبه

كان مبدأ الخليقة أن اللَّه تعالى قبض قبضة من تراب الأرض فخلق منها آدم، وخلق من آدم حواء وخلق منهما سائر البشر، بمختلف أشكالهم وألوانهم وجنسياتهم. ثم تَفَرَّع الخلق إلى أعراق وأنساب وقبائل وعشائر، كما اصْطلح الناس على تقاسيم متعددة أفرزتها الأعراف والتقاليد والمفاهيم والثقافات، فجعلوا أنساب الناس أشرافا وموالیا، ووضيعا أو ضعيفا... إلخ.

والإسلام من خصائصه أنه لا يصطدم مع أعراف الناس متى ما كانت أعراف لا تخرم القواعد الكلية والمبادئ العامة؛ لأن " للعادات والأعراف سلطان على النفوس، وتحكم في العقول، فمتى رسخت العادة اعتبرت من ضروريات الحياة، لأن العمل – كما يقول علماء النفس – بكثرة تكراره تألفه الأعصاب والأعضاء، ولاسيما إذا اقتضته الحاجة. ومن ثم يقولون: إن العادة طبيعة ثانية. ويقول فقهاؤنا: إن في نزع الناس عن عاداتهم حرجا عظيما".[1]

لكن الإسلام من شأنه التدخل في أعراف الناس تَدَخُّلَ ضبط

(1) المدخل الفقهي العام - نظرية العرف – د. مصطفى الزرقا – (2/869).

وتهذيب، وتقويم مسار واعتدال، لأن العادات والأعراف ليست على مستوى واحد من الحسن والجودة، كما أنها كثيرا ما تلتبس بها الأهواء فتصرفها عن مسارها الجائز إلى المآلات المُحَرَّمة والاستخدامات المُجَرَّمة.

ومن تلك الأمور، أنساب الناس ومنازلهم من المجتمع، فقد أبقى الإسلام على وصف القبائل والعشائر والبطون والأفخاذ..إلخ، لكنه بَيَّنَ العلاقة المثلى بين هذه الأطراف بحيث لا فضل بين الناس إلا من منظور التقوى، قال أبو نضرة: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، فقال: **يا أيها الناس؛ ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى. أَبَلَّغت؟** قالوا: بَلَّغَ رسول الله ﷺ.[1]

واستنكر رسول الإسلام - عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام - الثنائية الانفصامية النكدية في التعامل مع الجرائم، فحين تتعلق بذوي الجاه والغنى والشرف تُستر وتُحفظ! وينجو أصحابها من تبعاتها، وحين تتعلق برقبة أوساط الناس وفقرائهم وبسطائهم، فليس لهم إلا العقوبة بل والفضح والنشر بالاسم والرسم (أي الصورة)! بل وجَعْلِهم عبرة لأمثالهم !

(1) مسند أحمد بن حنبل (23536) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

روت عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ. فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فخطب ثم قال: **إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**.[1]

كما بين النبي ﷺ أن معيار بلوغ المراتب في الآخرة لا دخل له بالنسب، بل العبرة بما كسب، من عمل للصالحات وفعل للخيرات، فقال: (**ومن بَطَّأ به عمله؛ لم يُسْرع به نسبه**).[2]

ولم تكن عند رسول الله ﷺ ازدواجية في مثل هذه المبادئ العظيمة وموازين العدل والقسط، وحاشاه أن يُصَرِّح في المجتمع ويُعلن؛ ما يخالفه في السر مع أهله وعشيرته وقرابته، بل قام ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] فقال: (يا معشر قريش.. اشتروا أنفسكم.. لا أغني عنكم من الله شيئا

(1) صحيح البخاري (3475) ومسلم (4505).

(2) صحيح مسلم (7028).

يا بني عبد مناف.. لا أغني عنكم من الله شيئا
يا عباس بن عبد المطلب.. لا أغني عنك من الله شيئا
ويا صفية - عمة رسول الله -.. لا أغني عنك من الله شيئا
ويا فاطمة بنت محمد.. سليني ما شئت من مالي..
لا أغني عنك من الله شيئاً).[1]

ولهذا ينبغي على أصحاب الشأن أن يتجردوا من الهوى، وأن يعلموا أن درجة القرابة وعلو النسب لا تُسَوِّغ هضم حقوق أصحاب الكفاءة والجودة في العمل، بل من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه..

على هذا تستقيم أحوال المجتمع، وتستقر شؤون البلاد، ويَنْعَم الناس بالرضى النفسي وتحقيق أعلى معدلات الولاء لبيئة العمل بل للوطن بأسره.

خلاصة

والمرء في أخلاقه ومقاله ... معنىً يدل عليه إن جُهل النسب
فإذا فقدت الجد، فاختر بعده ... أن تنتمي لأب شريف كالأدب
ثمن الفتى في الناس قدرُ كماله ... لا كالبهيمة من لُجين أو ذهب

** ** **

(1) صحيح البخاري (2753) ومسلم (525).

(22)

ترضون دينه !

حدد النبي ﷺ معيارين لقبول الخاطب هما: التدين والخلق. وذلك حينما قال: (**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**).[1]

وفي حديث آخر أنه لما قال ذلك، قالوا: يا رسول الله! وإن كان فيه؟ [أي: شيء من قلة المال أو عدم الكفاءة].[2] قال: (**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**) ثلاث مرات.[3]

أما اختيار هذين المعيارين على وجه التحديد، فلأن (الخُلق) مدار حسن المعاش والعشرة. و(الدين) مدار أداء الحقوق ومراعاة الذمة.

قال القاضي عياض رحمه الله: " اللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون، لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره ".[4]

---

(1) سنن الترمذي (1084) وسنن ابن ماجه (1967)، وحسنه الألباني.

(2) تحفة الأحوذي للمباركفوري (4 / 173).

(3) سنن الترمذي (1085).

(4) تحفة الأحوذي (4/174).

لكن الملفت في الحديث؛ تعليق ذلك الرضى على الدين، مع أن الدين واحد لا يتجزأ، وكذا الخُلق، ولكن لما كان المراد بالدين التدين، وبالخلق التخلق، وكان كل من التدين والتخلق يتفاوت من شخص لآخر بحسب البيئات الطبيعية ومرافقها، والبيئات الاجتماعية وأنظمتها ومميزاتها، من المعتقدات والشعائر والأخلاق ونظام الحكم ومعاهد العلم والفكر والانفتاح والانغلاق والتعصب والجمود، لما كان الأمر كذلك عُلِّقَ بالرضى، فقد أرضى من التدين ما لا ترضاه أنت!

وكتوضيح أعمق نقول: إن التدين شُعَب أربع، تكاد تجتمع في غالب المتدينين، لكن بدرجات متفاوتة، ولكل منهم درجة غالبة على الأخرى، وهذه الدرجات أو المراتب هي:

التدين العاطفي	التدين الفكري
التدين السلوكي	التدين الظاهري

فمن الناس من تجد عاطفته للدين جياشة.. متينة.. صلبة، لكن عمله وعبادته.. متعثرة.. متأخرة.. متعسرة عليه.

ومن الناس من تجده صاحب فكر ديني متين، وقناعة به تامة، ولكن لم يلتزم به في مظهره وهيئته، وربما ضَعُفَ عن القيام بكثير من أعمال الدين وعباداته.

وقد تجد شخصا كامل الهيئة الدينية في شكله وثوبه بل ومنطقه، وتجد عنده هنات فكرية وجهل عميق.

وقد تجد رجلاً تقيًّا عابداً لربه، مَضْرَب مثل في الحرص على الطاعة، وتجد لهذا أثرا عظيما على عاطفته الدينية، لكن عنده إشكالات فكرية أفرزتها له المذاهب المادية المعاصرة التي لاقت فضاء واسعا وجهلا صارخا في ذهنه فسكنت فيه.

وتجد في الناس - على قلة والله المستعان - من تساوت عنده قوة التدين الظاهرية والعاطفية والسلوكية والفكرية، ففي العبادة الأسبق الأول، وفي العاطفة هو مضرب المثل، وفي الفكر هو الراسخ المؤصل.

فإذا علمنا أن التدين أنواع ومراتب، علمنا أنه ليس كل متدين يصلح لأي متدينة، والعكس كذلك، ولذا فإنك تجد سيف الطلاق والانفصال يجري على الزواجات المتدينة وغير المتدينة – وإن كان في التدين أقل وأسلم غالبا-.

فمن الضروري لإنجاح مشاريع الزواج، تقييم الفتاة من جهة التدين (عاطفة أم سلوك أم مظهر أم شامل)، فإذا ما كان سلوكا على سبيل المثال، فليس من الصواب اختيار المتدين لمجرد شكله ومظهره، بل لابد من أن تختبر عبادته وسلوكه، فإن كان كذلك فهو الذي ينبغي أن نرضاه لفتاتنا لتحصيل التوافق الديني بينهما.

وكذا الشأن في أمور الأخلاق، فالأخلاق باب واسع،

وخصال لا تحصى، فمن كانت فتاته كريمة العطاء، سخية النفس، فمن الضروري اختبار كرم الخاطب والسؤال عن هذا الجانب، لئلا نساهم في جلب المشاكل والهموم لهما في حياتهما العملية. وعلى هذا فَقِسْ.

وموضوع الزواج والتوافق بحر واسع وساحل عريض، لا تفي مثل هذه الوقفات المختصرة به، لكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق، ولعل القادم من الأيام يُهَيِّئ الله جل وعلا فيه كِتابةً واقعيةً مُؤَصَّلةً مُنْفَصِلةً إن شاء الله تعالى.

خلاصة: التدين الحق والثبات الحقيقي حين تَسْتَكْمل خصال التدين في جميع جوانبها الشكلية والسلوكية والعاطفية والفكرية، فوازن تَدَيُّنَكَ ونَمِّ جميع جوانبه لئلا يؤول للسقوط (الانتكاسة) أو التحنط مكانه! (الالتزام الأجوف) بدون ذلك لن تسعد بالتزامك وتهنأ بتَدَيُّنِكَ!

** ** **

(23)

مجـــرى الـــدم

تفاوتُ العقول والإدراك بين البشر ينـتج عنـه – لا محالـة – اختلاف نتائج التحليل الذهني للأحداث والمواقف.

والناس تجاه هذا الأمر طرفان ووسط:

طرف يعـي تلـك القـضية – مقدمـة ونتيجـة –، لكنـه لا يأبـه بمن حوله، ولا يهمه كلامهم فيـه ونظـراتهم لـه، ولا يقـيم وزنـا لمعرفتهم تحصيلا، وبالتالي هو لا يهتم لخسارتهم وفقدانهم.

وطـرف يهمـه ذلـك، ولكـن فيـه نـوع غفلـة أو سـذاجة، فـلا يحرص على التوضيح والإفهـام حـين يحتمـل الموقـف الـصادر منه أكثر من تفسير، بعضه حسن وبعضه غير ذلك.

وخيـر الأمـور الوسـط، وهـو مـن يراعـي عقـول البـشر ونفسياتهم، فلا يأبه بالمواقف الـصغيرة والعـابرة، إلا أنـه يقـف مع كبيرهـا ومهمهـا، فيحـرص علـى سـمعته ونظـر النـاس إليـه، فيوضح ويصارح في كل مـا يحتمـل أن يُفْهـم خطئـا، أو يُتَـرجم سوءا، أو يُحْمل على الشر.

وقد كان كذلك الخُلُق النبوي.. مع أنه ﷺ مَحَلٌ لا يقبل التهمة وسوء الظنة!

خرج يوما من معتكفه ومعه صفية – زوجته أم المؤمنين – في وقت الليل والظلمة، فرآه رجلان؛ فما كان منهما إلا أنْ أسرعا السير لئلا يحرجا رسول الله، فقال لهما النبي ﷺ: (تعاليا، [وفي لفظ: على رسلكما] إنها صفية بنت حُيي). فقالا: سبحان الله يا رسول الله، (يعني: أمثلنا – وهما من الأنصار – يَشُكُّ في مثلك وأنت رسول الله؟! فقال ﷺ: (**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئا**).[1]

خلاصة: بادر بالتوضيح والبيان لكل ما يصدر منك من أقوال وأفعال قد تُحْمل على غير محملها، وتُؤَوَّل على غير وجهها، لتقطع عنك شكوك الناس وظنونهم السيئة، وما أسرعها إلى قلوبهم لاسيما وقد علمت أن الشيطان يجري منهم مجرى الدم!

** ** **

(1) صحيح البخاري (2038).

(24)

كالقابض على الجمر

ما أجمل حياة الالتزام والاستقامة.. بترويض النفس على الإذعان والاستلام لأحكام الله تعالى ظاهرا وباطنا، والعيش بحثا عن محابه، وفرارا من مساخطه، والترقي في سلم العبودية والأخلاق وصولا إلى مراتب الولاية والإحسان...

بيد أن الدنيا كلما تقدم عمرها، وطويت دهورها، كلما ازدادت فتنة وشرا، فليست حياة الأوائل الأسلاف كحياتنا، ولا مرغبات الطاعة والحسنات كمرغباتنا، ولا النماذج والقدوات كما في حال واقعنا، ولا أسباب المعصية - كما وكيفا - كأسباب معاصينا.

والأصعب في الموضوع أن نكون أنا وأنت وصحبتنا الصالحة، كأزهار في باقة، لا يزال بعضنا يذبل ويتساقط، وكلما ازداد أعداد المتساقطين؛ صار البقاء شاقا والثبات صعبا !

بل حتى من ثبت، تجده يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في طريق الالتزام والاستقامة، وتجد صراعه مع نفسه الأمارة بالسوء وشياطين الإنس والجن قد أكلت من عمره دهرا ومن بدنه ونفسه قدرا !

ولقد ذكر النبي ﷺ هذه الحالة التي سيعاني فيها الملتزمون حين يلتزمون[1] إذا فسد الناس، ويتطهرون حين تستفحل الذنوب بنجاستها وقذارتها ! وذكر معها سببا عظيما من أسباب الثبات على الالتزام، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (**يأتي على الناس زمانٌ: الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**).[2]

وجاء عن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: 105] فقال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًّا مُطاعا،

---

(1) المراد بالالتزام التزام الفكر والقلب، ولو لم يسعفه المظهر، وليس الالتزام مجرد صورة وهيئة مع قلب أجوف وعمل لا يُسعف! وقد روي في الحديث أن شر ما أُعطي المسلم: (قلب سوء في صورة حسنة، فإذا نظر إلى نفسه أعجبته) كما في الجامع الصغير للسيوطي وضعفه الألباني.

(2) سنن الترمذي (2260) وصححه الألباني.

وهوى مُتَّبعا، ودُنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، **فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم. قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم.**[1]

فلئن ذهب الصحابة الكرام برؤية رسول الله، والإيمان به عن مشاهدة، والجهاد معه والهجرة، واختصوا بهذا الفضل الذي لم ولن يدركه أحد ممن بعدهم، فقد خُصصنا نحن في هذا الزمان بأجر خمسين منهم.. إنه لفضل عظيم وخير عميم !

فما أعظم الالتزام والثبات عليه في هذه الأيام لمن احتسبه وتلذذ به، ولا أظن هذه الأيام المذكورة - أيام الصبر - بما فيها من شح مطاع [وهو: أن يطيعه صاحبه في منع الحقوق التي أوجبها الله تعالى عليه في ماله][2] وهوى متبع ودنيا مُؤْثَرة وإعجاب كل امرئ برأيه إلا هذه الأيام التي نعيشها، بما فيها من حُكْم لله مُعَطَّل، وسُنة للنبي ﷺ مهجورة، وانفصال تام بين

---

(1) سنن الترمذي (3058) وقال: حديث حسن غريب. وقال الألباني: ضعيف لكن بعضه صحيح.

(2) تاج العروس للزبيدي (462/21).

العالِم والحاكم، وتقليد وانبهار بالأجانب والأعاجم، وانسلاخ من الهوية الإسلامية والأخلاق المرضية.. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خلاصة: إن من قال الله فيهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: 100] أعطى الواحد منا أجر خمسين منهم.. فما تظن فضل الله عليَّ وعليك إن نحن استقمنا بما استقاموا والتزمنا بما التزموا!

** ** **

(25)
بِئْس أخو العشيرة

كلمات.. لا أحصي كم كررها على مسامعي ذلك الشيخ الحليم الذي لقبته بعد وفاته بلقب (بروفيسور السيرة النبوية)... رحمه اللَّه تعالى حيث كان يقول لي:

" الحياة أقصر من أن تدخل فيها في صراعات، وتنشغل في عداءات تأكل من وقتك وعمرك وصحتك، وإنما جفف الصراعات ما استطعت، وانشغل عنهم لا بهم ! "[1].

تأملتها كثيرا، ثم حاولت أستذكر مواقف سيرة النبي ﷺ وأحاديثه الجليلة، فوجدت أنها هديا نبويا اجتماعيا رائعا.. ومنهجا راقيا في التعامل مع النفس ومناوِئيها.

فلم يُعْهد من سيرة النبي ﷺ رُغم كثرة خصوم دعوته، أنه قطع صِلاته وعلاقاته بالناس، أو أَخْرَج رجلا من مجلسه وطرده، أو مَنَع شخصا طلب الدخول عليه، وإنما كان ﷺ يُحسن إلى محسنهم، ويتألف أوساطهم، ويترك المسيء أو يرد عليه إساءته بإحسان.

---

(1) والقائل هو الشيخ المربي نجيب العامر رحمه اللَّه تعالى.

كما قال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه. وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده.[1]

وكيف لا يكون نبينا كذلك وهو الذي رباه ربه على: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: 199]. وعلى قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:96-98].

وقال له أيضا: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]. وفي هذه السورة الكريمة أيضا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

قال ابن كثير: " فهذه الآيات الثلاث في "الأعراف" و"المؤمنون" و"حم السجدة"[2]، لا رابع لهن، فإنه تعالى يرشد

---

(1) تفسير ابن كثير (3/532).

(2) أي سورة فصلت، يسمونها حم السجدة لأنها ابتدأت بالأحرف المقطعة (حم)، ولأنها فيها سجدة تلاوة، وإنما قالوا لها حم السجدة تمييزا لها عن سورة السجدة.

فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف والتي هي أحسن، فإن ذلك يَكُفُّه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾. ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجان، فإنه لا يَكُفُّه عنك الإحسان، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك.

قال ابن عباس في تفسير آية فصلت: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم ".[1]

ولما استأذن رجل على النبي ﷺ قال: ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة! فلما دخل ألان له الكلام، فعجبت عائشة من صنيعه فسألته: يا رسول الله، قلت ما قلت ثم ألنت له في القول؟! فقال: أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه.[2]

ويبدو أن الصحابة قد فهموا هذا الهدي النبوي جيدا، فتظافرت النقول عنهم في تقريره:

---

(1) تفسير ابن كثير (181/7).

(2) صحيح البخاري (6954).

يقول عمر رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.[1]

ويقول أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم.[2]

هذا، وإن الراحة في الإعراض عن العدو والمتربص والشانئ، أعظم من احتراق القلب وتطاحن النفس في مراقبته، ومبادلته العداء والبغض، ومحاولة الظفر به والانتصار عليه. كيف وهي أحد خصال أهل الجنة الذين هم في غاية الراحة والسعادة والرضى. قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: 22]. قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا... ولهذا قال مخبرًا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٣].[3]

ولكن، كما قال ربي بعد الأمر بالإحسان إلى المسيء:﴿ وَمَا

---

(1) تفسير ابن كثير (181/7).

(2) تغليق التعليق لابن حجر (103/5)، والسلسلة الصحيحة للألباني (4856).

(3) تفسير ابن كثير (451/4).

﴿يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35] أي: ما يُلْهَم هذه الوصية أو الخصلة أو الصفة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: على أذى الناس، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.[1]

خلاصة: لا تخسر أحداً، ولا تنشغل مع أحد في عداء دائم، ابتسم للجميع، صافح الجميع، ادع للجميع، لكن لا تقرب إليك ومنك إلا من خلصت مودته لك، وظهرت خيريته لك وبك، وإلا فجفف الصراعات وحَيّد العداءات وأَبْقِ العلاقات في أدنى مستويات المعرفة وأقل أبجديات الحقوق من سلام وابتسام، ولا تبالغ بالبغض، بل اتبع الوصية النبوية التالية: **(أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما)**.[2]

❊❊ ❊❊ ❊❊

(1) تفسير ابن كثير (5/492).

(2) سنن الترمذي (1997) وصححه الألباني.

زوال الهم
في السنة النبوية

فتشت في الأقوال والعبادات والعادات التي كان يمارسها النبي ﷺ طلبا لزوال الهموم والكروب والضيق، فوجدت أن شريعته بشكل عام تحقق ذلك، كما أن في شريعته أموراً خاصة لتحقيق ذلك الغرض، هي ما سيكون محل اهتمامي في هذه السطور.

فما سأذكره وأنقله هنا هو بمثابة برنامج عملي لزوال الهموم مستقى من السنة النبوية، بعضه متعلق بعمل القلب (الاعتقاد)، وبعضه متعلق بالأقوال (الدعاء)، وبعضه متعلق بالسلوك (عبادات وأفعال)، وإنه ليُرجى لمن داوم عليه واحتسب فعله رجاء زوال همه حسب ما جاء منصوصا عليه في الحديث أو الأثر أن يحقق الله له ذلك، وذلك على النحو التالي:

(1)

الاقتصار على هم الآخرة:

كثيرة هي الهموم التي تخالج نفوسنا، وإذا نظرت إليها وجدتها هموما دنيوية بحتة، وليس هذا فقط، بل إنها تُزاحم هم الآخرة حتى تكاد تطغى عليه، وتضعف العمل لأجله بسبب الانشغال بها.

والحقيقة أن طلب الدنيا والآخرة بنفس الدرجة من الحرص والعطاء والاهتمام لا يمكن، لأن للدنيا هموم متشعبة، وللآخرة هم واحد فقط، من هنا قَعَّد الله لنا قاعدة في كتابه تبين حجم كل منهما وما ينبغي صرف الهموم والجهود إليه فقال: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ... ﴾ [القصص: 77]. فجعل الآخرة أصلا، وجعل الدنيا فرعا، وهذا الفرع سماه نصيبا أي قدرا معينا محددا، وأشار إلى حجمه وأنه صغير جدا حتى يكاد يُنسى...

وهكذا شأن من تعلق قلبه بالآخرة واشتغل بهمها عن سائر الهموم. قال ﷺ: « **من جعل الهموم هما واحدا، هم آخرته: كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا: لم يبال الله في أي أوديتها هلك** ».[1]

(1) سنن ابن ماجه (1 / 95) وحسنه الألباني.

وفي لفظ: « **من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبته الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك** »[1].

وذكر النبي ﷺ ثلاث فوائد لمن اقتصر همه على طلب الآخرة، وما يقابلها من المضار المترتبة على الاقتصار على هم الدنيا فقال:

«**من كانت الآخرة همه؛**

1. **جعل الله غناه في قلبه،**
2. **وجمع له شمله،**
3. **وأتته الدنيا وهي راغمة.**

ومن كانت الدنيا همه ؛

4. **جعل الله فقره بين عينيه،**
5. **وفرق عليه شمله،**
6. **ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له** ».[2]

فقوله: وأتته الدنيا وهي راغمة: أي مقهورة. والحاصل أن ما كُتب للعبد من الرزق يأتيه لا محال، إلا أنه من طلب الآخرة يأتيه بلا تعب، ومن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة.

---

(1) المسند للشاشي (304).

(2) سنن الترمذي (2465)، سنن ابن ماجه (4105)، وصححه الألباني.

(2)

معرفة فوائد الهموم

أثناء دخولك في هذا البرنامج العملي، وريثما تزول الهموم من قلبك شيئا فشيئا بإذن الله، فاعلم أن مما يساعدك في التخفف من أعراض الهموم واحتمال أثرها، معرفة فوائدها التي ربطها الله بها، بحيث كلما تجدد لك هما تحصلت لك تلك الفوائد والمنافع، فمن ذلك: إيقاظك عن غفلتك عن ربك، فقد يبتليك الله من أجل أن يكون ابتلاؤك سبب عودتك له ولجوئك إليه وحسن عبادتك له، وهذا كثير في أوساط العاصين، ومنها اختبار صدق إيمانك وقوة صبرك ومدى رضاك عنه أقدار ربك، وهذا كثير أيضا في أوساط الصالحين، وأيضا:

تكفير الذنوب

فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قالا: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه** ».[1]

(1) صحيح البخاري (5318).

وفي لفظ: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته**».[1]

ولما نزل قول الله تعالى:﴿ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ [النساء: 123] قال أبو بكر: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ** ﴾ [النساء: 123]، فكل سوء عملنا جزينا به؟! فقال رسول الله ﷺ: «**غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ قال: بلى. قال: فهو ما تجزون به**».[2]

يعني أن المجازاة قد تكون في الآخرة، وقد تكون في الدنيا، فإذا أراد الله بعبد خيرا في الآخرة، جازاه على ذنوبه في الدنيا بما يصيبه من مصائب ومتاعب وهموم، ولذا كان أبو بكر يقول بعدها ذلك: قال رسول الله ﷺ: « **من يعمل سوءا يجز به في الدنيا**».[3]

** ** **

(1) صحيح مسلم (2573).

(2) مسند أحمد (68) وصححه الأرناؤوط.

(3) مسند أحمد (23) وصححه الأرناؤوط.

(3)

أدعية زوال الهموم[1]

ورد في السنة النبوية عدد كثير من الأدعية والأذكار التي من قالها زال همه، وانصرف عنه كدره، وقد اجتهدت في جمعها وترتيبها وتخريجها على النحو التالي، فاجعلها وردا يوميا لك ففيها خير عظيم لمن جربها وثبت عليها إن شاء الله تعالى:

1 - **سُبْحَانَ اللَّه العظيم.**

روى أبو هُريرة أنَّ النبي ﷺ كان إذا أهمَّه الأَمْرُ، رفع طرفه إلى السماء وقاله... وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم.[2]

2 - **اللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ به شيئاً.**

قالت أسماء بنت عُمَيس: قال لي رسول الله ﷺ: ألا

---

(1) ذكرتها هنا مخرجة مع تعليق ما تيسر عليها، وأفردت صيغ الأدعية ص 141 ليسهل حفظها والدعاء بها.

(2) الترمذي (3436) وقال: حديث حسن غريب. وهذه الصيغة تقتضي تضعيفه، ولذا حكم عليه العلماء بالضعف، لكن التسبيح عند الهم والكرب وارد في أحاديث صحيحة كما سيأتي، بل والأصل في ذلك مناداة نبي الله يونس وهو في كرب بطن الحوت وظلماته ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقوليهِنَّ عِنْدَ الكَرْبِ أو في الكَرْبِ: وذكرها. [1]

وفي رواية عنها: أن النبي ﷺ جمع بني عبد المطلب فقال لهم: إن نزل بأحدكم هم أو غم أو كرب أو سقم أو لأواء فليقل: الله ربي لا أشرك به شيئا، ثلاث مرات.[2]

قال ابن القيم: وفى رواية أنها تُقال سبعَ مرات.[3]

3 - لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم: ويُذكر عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: "من كثرت همومه وغمومه، فليكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله ". وثبت في "الصحيحين": أنها كَنزٌ من كنوز الجَنَّة. وفى "الترمذي": أنها بابٌ من أبواب الجَنَّة.[4]

ويقول: " وأما تأثير لا حول ولا قوة إلا بالله في دفع هذا الداء فَلِما فيها من كمال التفويض والتبري من الحول

---

(1) سنن أبي داود (1525) وسنن ابن ماجه (3882) وصححه الألباني.

(2) المعجم الأوسط للطبراني (6119).

(3) الطب النبوي (ص47)، وهذه الرواية التي فيها التسبيع أخرجها النسائي في السنن الكبرى (10486) مرسلة عن عمر بن عبدالعزيز، وأخرج رواية أخرى أنها تقال مرتين، والأمر في هذا واسع، فالمرة أصح من حيث الثبوت، وتكرارها سبع مرات خير على خير، والله أعلم.

(4) زاد المعاد (4/180).

والقوة إلا به، وتسليم الأمر كله له، وعدم منازعته في شئ منه، وعموم ذلك لكل تحول من حال إلى حال في العالم العلوي والسفلي، والقوة على ذلك التحول، وأن ذلك كله بالله وحده فلا يقوم لهذه الكلمة شيء. وفي بعض الآثار: إنه ما ينزل ملك من السماء ولا يصعد إليها إلا بلا حول ولا قوة إلا بالله ولها تأثير عجيب في طرد الشيطان والله المستعان".[1]

4- **يا حَيُّ يا قَيُّومُ برحمتِكَ أستغيثُ.**

ذكر أنس أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا كربه أمرٌ قاله.[2] وذكر ذلك ابن مسعود لكنه قال: إذا نزل به هم أو غم.[3]

" وفي تأثير قوله: (يا حي يا قَيُّومُ برحمتِك أستغيثُ) في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإنَّ صفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القَيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحَي القَيُّوم، والحياة التامة تُضاد جميعَ الأسقام والآلام، ولهذا

(1) زاد المعاد (4/185).

(2) الترمذي (3524) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (4777).

(3) انظر: صحيح الجامع للألباني (4791).

لَمَّا كَمُلَتْ حياة أهل الجَنَّة لم يلحقهم هَمٌ ولا غَمٌ ولا حَزَنٌ ولا شيء من الآفات. ونقصانُ الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمالُ القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا يفوتُه صِفة الكمال ألبتة، والقَيُّوم لا يتعذَّرُ عليه فعلٌ ممكنٌ ألبتة، فالتوسل بصفة الحياة والقَيُّومية له تأثيرٌ في إزالة ما يُضادُّ الحياة، ويضُرُّ بالأفعال... والمقصود: أن لاسم الحي القَيُّوم تأثيراً خاصاً في إجابة الدعوات، وكشف الكُربات.

وفى "السنن" و"صحيح أبى حاتم" مرفوعاً: "اسمُ اللَّهِ الأعْظَم في هاتَيْنِ الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، وفاتحةِ آلِ عمران: ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 1-2]، قال الترمذيُّ: حديث صحيح.

وفى "السنن" و"صحيح ابن حِبَّان" أيضاً: من حديث أنس أنَّ رجلاً دعا، فقال: اللَّهُمَّ إني أسألُكَ بأنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إلَهَ إلا أنتَ المنَّانُ، بديعُ السَّمواتِ والأرضِ، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قَيُّومُ، فقال النبي ﷺ:"لقد دَعَا اللَّهَ باسمِهِ الأعْظَم الذي إذا دعي به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعْطَى".

ولهذا كان النبي ﷺ إذا اجتهد في الدعاء، قال: "يَا حي يا قَيُّومُ"[1].

5- لَا إلٰه إلَّا أَنتَ سُبْحَانكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

روى سعد بن أبى وَقَّاص أن رسولُ الله ﷺ قال: "دعوةُ ذي النُّون إذْ دَعَا رَبَّهُ وهو في بَطْنِ الحُوتِ.... لَمْ يَدْعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قَطُّ إلا اسْتُجِيبَ له".[2] وفى رواية: "إنِّي لأعلمُ كَلِمَةً لا يقولُهَا مكْروبٌ إلا فرَّج الله عنه: كَلِمَةَ أخي يُونُس".[3]

" وأما دعوةُ ذي النون.. فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتنزيه للربِّ تعالى، واعترافِ العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدويةِ الكَربِ والهَمِّ والغَمِّ، وأبلغِ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، فإنَّ التوحيدَ والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال للَّهِ، وسلبَ كُلِّ نقصٍ وعيب وتمثيل عنه. والاعترافُ بالظلم يتضمَّن إيمانَ العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويُوجب انكسارَه ورجوعَه إلى الله، واستقالته عثرتَه، والاعترافَ بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فههنا أربعةُ

(1) زاد المعاد (185/4).
(2) سنن الترمذي (3505) وصححه الألباني.
(3) الكلم الطيب لابن تيمية برقم (123). وانظر الفتوحات الربانية لابن حجر (10/4).

أُمور قد وقع التوسلُ بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف ".[1]

وقال ابن مسعود: ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح.[2]

6 - **حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.** (سبع مرات).

من قاله إذا أصبح وإذا أمسى = كفاه الله ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا.[3]

7 - **اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أرجُو، فَلا تَكِلْنِي إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لي شَأني كُلَّهُ، لا إله إلا أنْتَ".**

روى أبو بكرة أنَّ رسول الله ﷺ سماها دَعَواتُ المكروبِ.[4]

وفى قوله: "اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أرْجُو، فلا تَكِلْنى إلى نفسى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لى شأنى كُلَّهُ لا إلهَ إلاَّ أنتَ" من

---

(1) زاد المعاد (4/185).

(2) الجواب الكافي أو الداء والدواء لابن القيم (ص7).

(3) سنن أبي داود (5081) وجود إسناده العلامة ابن باز كما في الفتاوى (9/294).

(4) سنن أبى داود (5090) وحسن إسناده الألباني.

تحقيق الرجاء لِمَن الخيرُ كُلُّهُ بيديه والاعتمادُ عليه وحده، وتفويضُ الأمر إليه، والتضرع إليه، أن يتولَّى إصلاح شأنه، ولا يَكِلَه إلى نفسه، والتوسُّل إليه بتوحيده مما له تأثيرٌ قوي في دفع هذا الداء، وكذلك قوله: "اللَّهُ ربِّي لا أُشْرِكُ بِه شَيْئاً".[1]

8 - لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: وذكره.[2]

9 - لا إلهَ إلا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إلا اللَّهُ ربُّ العرشِ العَظِيمُ، لا إلهَ إلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَواتِ السَّبْع، ورَبُّ الأرْض رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمُ.

روى ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدعو به عند الكَرْب.[3]

10 - اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز

---

(1) زاد المعاد (4/185).

(2) مسند أحمد بن حنبل (701) وصححه محققه الأرناؤوط.

(3) البخاري (5985)، مسلم (7097).

والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال.

قال أبو سعيد الخدري: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال " يا أبا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة "؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله. قال: " أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله ﷻ همك وقضى عنك دينك "؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: "قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم..... قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله ﷻ همي، وقضى عني ديني.[1]

هذا الحديث " تضمَّن الاستعاذة من ثمانية أشياء، كُلُّ اثنين منها قَرينان مزدوجان، فالهمُّ والحَزَنُ أَخوان، والعجزُ والكسلُ أخوان، والجُبنُ والبُخلُ أَخوان، وضَلَعُ الدَّيْن وغلبةُ الرجال أخوان، فإنَّ المكروه المؤلم إذا ورد على القلب، فإما أن يكون سببهُ أمراً ماضياً، فيُوجب له الحزن، وإن كان أمراً متوقعاً في المستقبل، أوجب الهم، وتخلفُ العبد عن مصالحه وتفويتها عليه، إما أن يكون مِن عدم

(1) سنن أبي داود (1555) وهذا الحديث سكت عنه أبوداود، وحسنه المنذري وابن حجر، والدعاء بألفاظه وارد في أحاديث صحيحة.

القُدرة وهو العجز، أو من عدم الإرادة وهو الكسل، وحبسُ خيره ونفعه عن نفسه وعن بني جنسه، إما أن يكونَ منعَ نفعه ببدنه، فهو الجُبن، أو بماله، فهو البخل، وقهرُ النَّاس له إما بحق، فهو ضَلَعُ الدَّيْن، أو بباطل فهو غَلبَةُ الرِّجال، فقد تضمَّن الحديثُ الاستعاذة من كل شَرٍّ ".[1]

11 - أسألك بلا إله إلا أنت، ربّ السماوات السبع ورب العرش العظيم، وأسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن، إنّك على كل شيء قدير.

قال ابن عباس: من نزل به همّ أو غمٌّ أو كربٌ أو خاف من سلطان، فدعا بهؤلاء استجيب له: وذكره ثم قال: ثم سلِ اللَّه حاجتك.[2]

12 - اللهم إني عبدك وابن أمتك، ناصيتي في يدك، ماض في حكمك، عدل في قضائك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن: ربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي.

---

(1) زاد المعاد (185/4).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد (89/1)، وضعفه الألباني، لكن مرّ في الأدعية قريب من ألفاظه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك..... إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا. قالوا: يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن. [1]

قال ابن القيم: " وأما حديث ابن مسعود: "اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ"، ففيه من المعارف الإلهية، وأسرارِ العبودية ما لا يتَّسِعُ له كتاب، فإنه يتضمَّن الاعترافَ بعبوديته وعبودية آبائه وأُمهاته، وأنَّ ناصيته بيده يُصرِّفها كيف يشاء، فلا يملِكُ العبدُ دونه لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً، ولا نُشوراً، لأنَّ مَن ناصيتُه بيد غيره، فليس إليه شيءٌ من أمره، بل هو عانٍ في قبضته، ذليل تحت سلطان قهرِه. وقوله: "ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قضاؤكَ" متضمنٌ لأصلين عظيمين عليهما مدارُ التوحيد:

أحدهما: إثباتُ القَدَر، وأنَّ أحكام الرَّبِّ تعالى نافذةٌ في عبده ماضيةٌ فيه، لا انفكاكَ له عنها، ولا حِيلةَ له في دفعها.

(1) المستدرك للحاكم (1877)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه.

والثاني: أنه سبحانه عدلٌ في هذه الأحكام، غير ظالم لعبده، بل لا يخرُج فيها عن موجب العدل والإحسان، فإنَّ الظلم سببه حاجةُ الظالم، أو جهلُه،أو سفهُه، فيستحيلُ صدورهُ ممن هو بكل شيء عليمٌ، ومَن هو غنىٌ عن كل شيء، وكلُّ شيء فقيرٌ إليه، ومَنْ هو أحكم الحاكمين، فلا تخرُج ذَرَّةٌ مِن مقدوراته عن حِكمته وحمده، كما لم تخرج عن قُدرته ومشيئته، فحِكمته نافذة حيثُ نفذتْ مشيئته وقُدرته، ولهذا قال نبيُّ اللَّه هودٌ صَلَّى اللَّه على نبينا وعليه وسَلَّم، وقد خَوَّفه قومُه بآلهتهم: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: 54-56]، أي مع كونه سبحانه آخذاً بنَواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء، فهو على صراطٍ مستقيمٍ لا يتصرَّفُ فيهم إلا بالعدل والحكمة، والإحسان والرحمة. فقوله: "ماضٍ فيَ حُكْمُكَ"، مطابقٌ لقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، وقولُه: "عَدْلٌ فِيَّ قضاؤكَ"، مطابقٌ لقوله:﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: 57]، ثم توسَّلَ إلى رّبِّه بأسمائه التي سمَّى بها نفسه ما عَلِمَ العبادُ منها وما لم يعلموا. ومنها: ما استأثره في علم الغيب عنده، فلم يُطلع عليه مَلَكاً مُقرَّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، وهذه الوسيلةُ

أعظمُ الوسائل، وأحبُّها إلى الله، وأقربُها تحصيلاً للمطلوب.

ثم سأله أن يجعلَ القرآن لِقلبه كالربيع الذى يرتَع فيه الحيوانُ، وكذلك القرآنُ ربيعُ القلوب، وأن يجعلَه شفاءَ هَمِّه وغَمِّه، فيكونُ له بمنزلة الدواء الذى يستأصِلُ الداء، ويُعيدُ البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحُزنه كالجِلاء الذى يجلو الطُّبوعَ والأصديةَ وغيرها، فأحْرَى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يُزيلَ عنه داءه، ويُعقبه شفاءً تاماً، وصحةً وعافيةً.. والله الموفق".[1]

13 و14 – **الاستغفار والصلاة على النبي** كما سيأتي.

هذا وقد رد العلماء قول من قال بأن هذه الفضائل التي جاءت في هذه الأذكار إنما هي لأهل الشرف في الدين والطهارة من الكبائر دون المصرين وغيرهم، وذكروا أن الأحاديث عامة تشمل الجميع، لكنهم قالوا: ولو قال – أي هذا القائل المردود عليه –: هذه الأحاديث لمن قالها معظما لربه، مخلصا من قلبه، نيته صادقة مطابقة لقوله، كان أولى. فليحرص المرء على الاتصاف بهذه الخصال ليحظ بثمار هذه الأدعية والأذكار.[2]

---

(1) زاد المعاد (4/185).

(2) إكمال المعلم (8/111).

ويبين لنا الإمام القيم ابن القيم: كيف تؤثر هذه الأدعية الأدوية في علاج البدن العليل وإزالة مرضه من هم وغم وضيق لاسيما إذا قوي توحيدها لربها وتوكلها عليه وتعلقها واستعانتها به؟ فيقول:

" القلبُ: خُلِقَ لمعرفةِ فاطره ومحبته وتوحيده والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحبَّ إليه مِن كل ما سواه، وأرْجَى عنده مِن كل ما سواه، وأجَلَّ في قلبه مِن كل ما سواه، ولا نعيمَ له ولا سرورَ ولا لذَّةَ، بل ولا حياة إلا بذلك، وهذا له بمنزلة الغِذاء والصحة والحياة، فإذا فَقَدَ غذاءه وصحته وحياته، فالهمومُ والغموم والأحزان مسارعةٌ مِن كل صَوْبٍ إليه، ورهْنٌ مقيم عليه.

ومن أعظم أدوائه: الشِّركُ والذنوبُ والغفلةُ والاستهانةُ بِمَحابِّه ومَراضيه، وتركُ التفويض إليه، وقِلَّةُ الاعتماد عليه، والركونُ إلى ما سواهُ، والسخطُ بمقدوره، والشكُّ في وعده ووعيده.

وإذا تأملتَ أمراض القلب، وجدتَ هذه الأُمور وأمثالها هي أسبابُها لا سببَ لها سِواها، فدواؤه الذي لا دواءَ له سواه ما تضمنتْهُ هذه العلاجات النبوية من الأُمور المضادة لهذه الأدواء،

فإنَّ المرضَ يُزال بالضد، والصِّحةُ تُحفظ بالمِثْل، فصحتُه تُحفظ بهذه الأُمور النبوية، وأمراضُه بأضدادها.

فالتوحيد.. يفتح للعبد بابَ الخير والسرور واللَّذة والفرح والابتهاج، والتوبةُ استفراغٌ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سببُ أسقامه، وحِميةٌ له من التخليط، فهي تُغْلِق عنه بابَ الشرور، فيُفتَح له بابُ السعادة والخير بالتوحيد، ويُغْلَق باب الشرور بالتوبة والاستغفار.

قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: مَن أراد عافية الجسم، فليقلِّلْ مِن الطعام والشراب، ومَن أراد عافية القلب، فليترُكْ الآثام. وقال ثابت بن قُرَّةَ: راحةُ الجسم في قِلَّة الطعام، وراحةُ الرَّوح في قِلَّة الآثام، وراحةُ اللِّسان في قِلَّة الكلام.

والذنوبُ للقلب، بمنزلة السُّموم، إن لم تُهلكْه أضعفتْه ولا بُدَّ، وإذا ضعُفت قُوَّتُه، لم يقدرْ على مقاومة الأمراض، قال طبيبُ القلوب عبدُ الله ابن المُبارَك:

رَأَيْتُ الذنُوبَ تُمِيتُ الْقُلوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلوبِ وَخَيرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

فالهوى أكبرُ أدوائها، ومخالفتُه أعظمُ أدويتها، والنفس في الأصل خُلِقَتْ جاهلة ظالمة، فهي لجهلِها تظن شِفاءَها في اتباع

هواها، وإنما فيه تلفُها وعطَبُها، ولظلمِها لا تقبل مِن الطبيب الناصح، بل تضَعُ الداء موضِعَ الدواء فتعتمده، وتضعُ الدواء موضع الداء فتجتنبه، فيتولَّدُ مِن بين إيثارِها للداء، واجتنابِها للدواء أنواعٌ من الأسقام والعِلل التى تُعيِى الأطباء، ويتعذَّرُ معها الشفاء. والمصيبةُ العظمى، أنها تُرَكِّبُ ذلك على القَدَر، فتُبرِّىء نفسَها، وتلومُ ربَّها بلسان الحال دائماً، وَيقوَى اللَّومُ حتى يُصرِّحَ به اللِّسان.

وإذا وصل العليلُ إلى هذه الحال، فلا يُطمَع في بُرئه إلا أن تتداركه رحمة من ربه، فيُحييه حياةً جديدة، ويرزقُه طريقةً حميدة، فلهذا كان حديث ابن عباس في دُعاء الكرب مشتملاً على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القُدرة والرحمة، والإحسان والتجاوز، ووصفِه بكمال ربوبيته للعالَم العُلويِّ والسُّفليِّ، والعرش الذي هو سقفُ المخلوقات وأعظمها. والرُّبوبية التامة تستلزِمُ توحيدَه، وأنه الذي لا تنبغي العبادةُ والحبُّ والخوفُ والرجاء والإجلال والطاعة إلا له. وعظمتُه المطلقة تستلزمُ إثباتَ كل كمال له، وسلبَ كل نقص وتمثيل عنه. وحِلمُه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه.

فعِلْمُ القلب ومعرفتُه بذلك توجب محبته وإجلاله

وتوحيدَه، فيحصل له من الابتهاج واللَّذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجدُ المريض إذا ورد عليه ما يسرُّهُ ويُفرحه ويُقوِّى نفسه، كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسِّي، فحصولُ هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى.

ثم إذا قابلتَ بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمَّنها دعاءُ الكرب، وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعَةِ البهجة والسرور، وهذه الأُمورُ إنما يُصدِّق بها مَن أشرقت فيه أنوارُها، وباشر قلبُه حقائقَها ".[1]

** ** **

(1) زاد المعاد (184/4).

(4)

لزوم الاستغفار ومداومة الصلاة على النبي

تقدم أن أحد الأسباب الجالبة للهموم = فعل الذنوب واكتساب الآثام، ومن المعلوم أن العبد لا سبيل له إلى العصمة التامة من الذنوب كافة، وإنما حسبه أن يجاهد نفسه ويسأل ربه ويجانب أسباب الذنب، ومع ذلك عساه أن يتخلص من الذنوب الكبيرة والصغيرة، ولا يبقى لديه سوى اللمم والغفلة اللَّذين لا سبيل للخلاص منهما غالبا ... وإذا كان الأمر كذلك، فإن الاستغفار الكثير يمحو الله به ما شاء من السيئات والزلات، فيتدارك العبد المسيء نفسه قبل تكالب هموم ذنوبه عليه، فالاستغفار حسب النص النبوي التالي يزيل السيئة وأثرها وهو الهم والضيق.

وقد جاء ذلك من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**من لزم الاستغفار؛ جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**).[1]

---

(1) الترغيب والترهيب للمنذري (2502) وقال: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي كلهم من رواية الحكم بن مصعب وقال الحاكم صحيح الإسناد، والحديث ضعف إسناده جمع من أهل العلم منهم =

قال ابن القيم: " وأما تأثيرُ الاستغفار في دفع الهَمِّ والغَمِّ والضِّيق، فلِمَا اشترَكَ في العلم به أهلُ الملل وعقلاءُ كُلِّ أُمة أنَّ المعاصيَ والفسادَ تُوجب الهَمَّ والغَمَّ، والخوفَ والحُزن، وضيقَ الصدر، وأمراض القلب، حتى إنَّ أهلها إذا قضَوْا منها أوطارَهم، وسئمتها نفوسُهم، ارتكبوها دفعاً لما يَجِدُونه في صدورهم من الضيق والهَمِّ والغَمِّ، كما قال شيخُ الفسوق:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواءَ لها إلا التوبةُ والاستغفار ".[1]

وفي أثر الصلاة على النبي على زوال الهم، جاء عن الطفيل بن أُبَيّ بن كعب عن أبيه أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: "يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه"، قال أُبَيّ: قلت: يا رسول الله! إني أُكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: "ما شئت"، قال: قلت الربع؟ قال: "ما شئت"، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: "ما

= الشيخ الألباني، إلا أن معناه صحيح يشهد له أصول كثيرة وكذا الواقع العملي بما يجده كثير الاستغفار منا من انشراح نفس وزوال هم، والله الموفق.

(1) زاد المعاد (4/185).

شئت"، فإن زدت فهو خير لك"، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك"، قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: "إذن تُكْفى همك ويُغفر لك ذنبك".[1]

وفي رواية: قال رجل: يا رسول اللَّه، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها صلاة عليك؟ قال: "إذن يكفيك اللَّه ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك".[2]

** ** **

(1) رواه الترمذي(2457): وقال: حديث حسن صحيح.

(2) مسند أحمد (21280) وحسنه المحقق الأرناؤوط.

(5)

كثرة قراءة القرآن الكريم يوميا

فإن الله جل وعلا قد قال عن ذكره: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، وخير ذكر الله كلامه الذي سماه في كتابه ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58].

وكان ﷺ يقول في دعائه: **"أسألك... أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي "** كما مر معنا في الحديث، وأكد أن من قاله ذهب الله بهمه وأبدله مكان حزنه فرحا.

والذين يداومون على قراءة القرآن فترة، فيتنعمون بما فيه من هدى وعلم، وسكينة وطمأنينة، وراحة وانشراح، وتوفيق وتسديد، ثم ينشغلون عن قراءته يوما أو اثنين، تجدهم من أكثر الناس شعورا ومعرفة بعظيم أثر القرآن على حياتهم وبركتها، ونفوسهم وسعادتها، وبيوتهم وسَكَنِها، وقراراتهم وتوفيقها.

** ** **

(7)(6)

الصبر والفزع للصلاة

قال ابن القيم: في "المسند": أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا حَزَبَه[1] أمرٌ [أي: غلبه وأَلَمَّ به وشغله أمر شديد][2]، فَزِعَ إلى الصَّلاة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[البقرة:45].[3]

قال ابن حجر: "والصلاة أفعال وأقوال فلذلك ثقلت على غير الخاشعين، ومن أسرارها أنها تعين على الصبر لما فيها من الذكر والدعاء والخضوع وكلها تضاد حب الرياسة وعدم الانقياد للأوامر والنواهي "[4].

وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نعى إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾.[5]

---

(1) وروي حزنه بدل حزبه.

(2) إكمال المعلم للقاضي عياض (8/111) والديباج للسيوطي (6/77).

(3) زاد المعاد 4/47.

(4) فتح الباري لابن حجر (4/351).

(5) رواه الطبراني في تفسيره بإسناد حسن، قاله ابن حجر (4/351).

يقول ابن القيم مبينا كيف تؤثر الصلاة على القلب المهموم والمغموم فتزيل حزنه وتذهب ضيقه: " **وأما الصَّلاةُ.. فشأنها في تفريح القلب وتقويته**، وشرحِه وابتهاجه ولذَّته أكبرُ شأن، وفيها من اتصالِ القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاجِ بمناجاته، والوقوفِ بين يديه، واستعمالِ جميع البدن وقُواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظَّه منها، واشتغالهِ عن التعلُّق بالخلق وملابستهم ومحاوراتهم، وانجذابِ قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحتِه من عدوِّه حالةَ الصلاة ما صارت به من أكبر الأدوية والمفرِّحات والأغذية التي لا تُلائم إلا القلوبَ الصحيحة. وأمَّا القلوبُ العليلة، فهي كالأبدان لا تُناسبها إلا الأغذية الفاضلة.

فالصلاةُ من أكبر العَوْن على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهى منهاةٌ عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومَطْرَدَةٌ للداءِ عن الجسد، ومُنوِّرةٌ للقلب، ومُبيِّضَةٌ للوجه، ومُنشِّطةٌ للجوارح والنفس، وجالِبةٌ للرزق، ودافعةٌ للظلم، وناصِرةٌ للمظلوم، وقامِعةٌ لأخلاط الشهوات، وحافِظةٌ للنعمة، ودافِعةٌ للنِّقمة، ومُنزِلةٌ للرحمة، وكاشِفة للغُمَّة، ونافِعةٌ من كثير من أوجاع البطن.

وقد روى ابن ماجه في "سننه" من حديث مجاهد، عن أبى هريرة قال: رآنى رسولُ الله ﷺ وأنا نائم أشكو مِن وجع بطنى، فقال لى: "يا أبا هُرَيْرَة ؛ أشِكَمَتْ دَرْدْ"؟ قال: قلتُ: نعم يا رسولَ الله، قال: "قُمْ فَصَلِّ، فإنَّ في الصَّلاةِ شِفَاءً". وقد رُوى هذا الحديثُ موقوفاً على أبى هُرَيرةَ، وأنه هو الذى قال ذلك لمجاهد، وهو أشبهُ. ومعنى هذه اللفظةِ بالفارسى: أيوجعُكَ بطنُكَ؟

فإن لم ينشرح صدرُ زنديق الأطباء بهذا العلاج، فيُخاطَبُ بصناعة الطب، ويقالُ له: الصلاةُ رياضة النفس والبدن جميعاً، إذ كانت تشتمِلُ على حركات وأوضاع مختلفة مِن الانتصاب، والركوع، والسجود، والتورُّك، والانتقالات وغيرها من الأوضاع التى يتحرَّك معها أكثرُ المفاصل، وينغمِزُ معها أكثرُ الأعضاء الباطنة، كالمَعِدَة، والأمعاء، وسائر آلات النَّفَس، والغذاء، فما يُنكر أن يكونَ في هذه الحركات تقويةٌ وتحليلٌ للمواد، ولا سِيَّما بواسطة قوةِ النفس وانشراحِها في الصلاة، فتقوى الطبيعة، فيندفع الألم. ولكن داء الزندقةِ والإعراض عما جاءت به الرُّسلُ، والتَّعوُّضِ عنه بالإلحاد داءٌ ليس له دواء إلا نار ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۞ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾". [1] [الليل: 14 - 16]

(1) زاد المعاد (185/4).

ويصف ابن القيم – في كلمات رائعة – منافع الصلاة والصبر وآثارهما الحسنة:

" والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للحركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن.

وبالجملة: فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، **وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المصلي منهما أقل وعاقبته أسلم.**

وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا ولا سيما إذا أعطيت حقها من التكميل ظاهرا وباطنا، **فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة ولا استجلبت مصالحهما بمثل الصلاة**، وسر ذلك أن الصلاة صلة بالله ﷻ، وعلى قدر صلة العبد بربه ﷻ تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه ﷻ والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة إليه".

ويقول عن الصبر: " [الصبر نصف الإيمان]، فإنه ماهية مركبة من صبر وشُكْر، كما قال بعض السلف: الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5].

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو ثلاثة أنواع: صبر على فرائض الله فلا يضيعها، وصبر عن محارمه فلا يرتكبها، وصبر على أقضيته وأقداره فلا يتسخطها، ومن استكمل هذه المراتب الثلاث استكمل الصبر ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر فيهما لا يصل إليه أحد إلا على جسر الصبر، كما لا يصل أحد إلى الجنة إلا على الصراط. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصبر. وإذا تأملت مراتب الكمال المكتسب في العالم رأيتها كلها منوطة بالصبر، وإذا تأملت النقصان الذي يذم صاحبه عليه ويدخل تحت قدرته؛ رأيته كله من عدم الصبر، فالشجاعة والعفة والجود والإيثار كله صبر ساعة.

فالصبر طلسم على كنز العلى من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

وأكثر أسقام البدن والقلب إنما تنشأ من عدم الصبر، **فما حفظت صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر**، فهو الفاروق الأكبر والترياق الأعظم، ولو لم يكن فيه إلا معية الله

مع أهله، فإن الله مع الصابرين، ومحبته لهم، فإن الله يحب الصابرين، ونصره لأهله، فإن النصر مع الصبر، وإنه خير لأهله ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: 126] وإنه سبب الفلاح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]".[1]

** ** **

(1) زاد المعاد (4/304).

(8)

الجهاد [الحق]

جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (عَلَيْكُم بالجِهَادِ، فإنَّه بابٌ مِن أبوابِ الجَنَّةِ، يدفعُ اللَّهُ به عن النُّفُوسِ الهَمَّ والغَمَّ).[1]

يقول ابن القيم مبينا كيف يؤثر الجهاد في الهم فيزيله:

"وأمَّا تأثيرُ الجهادِ في دفع الهم والغم، فأمرٌ معلوم بالوجدان، فإنَّ النفس متى تركتْ صائِلَ الباطل وصَوْلته واستيلاءَه، اشتد همُّها وغمُّها، وكربُها وخوفها، فإذا جاهدته للَّه أبدل اللَّه ذلك الهمَّ والحُزْنَ فرحاً ونشاطاً وقوةً، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 14-15]، فلا شيءَ أذهبُ لجوَى القلب وغَمِّه وهَمِّه وحُزنه من الجهاد.. واللَّه المستعان".[2]

** ** **

(1) مسند أحمد (22771) وحسنه محققه الأرناؤوط، وهو في صحيح ابن حبان برقم (4855) وحسنه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن برقم (5810) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (356)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (4063).

(2) زاد المعاد (4/185).

(9)

عبادات ما بين الصلاتين

يقول ابن القيم في أسرار الصلاة: [1]

" وما بين الصلاتين تحدث للعبد الغفلة والجفوة والقسوة، والإعراض والزَّلات والخطايا، فيبعده ذلك عن ربه، وينحّيه عن قربه، فيصير بذلك كأنه أجنبيا من عبوديته، ليس من جملة العبيد، وربما ألقى بيده إلى أسر العدو له فأسره وغلَّه، وقيَّده وحبسه في سجن نفسه وهواه:

فحظه ضيق الصدر، ومعالجة الهموم والغموم والأحزان[2] والحسرات، ولا يدري السبب في ذلك. فاقتضت رحمة ربه الرحيم الودود أن جعل له من عبوديته عبودية جامعة، مختلفة الأجزاء والحالات بحسب اختلاف الأحداث التي كانت من

---

(1) (1/7).

(2) قال ابن حجر: وقيل في هذه الأشياء الثلاثة وهي الهم والغم والحزن: أن الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده. (فتح الباري 16 / 129).

العبد، وبحسب شدَّة حاجته إلى نصيبه من كل خير من أجزاء تلك العبودية ".

فاطرد عنك الغفلة الجالبة للضيق والهم فيما بين الصلوات بالتنفل والتطوع، وإلا فأشغلْ لسانك بذكر الله تعالى، وتَنَقَّلْ ما بين تمجيده وتسبيحه وتنزيهه، وحمد وشكره والثناء عليه، واستغفاره وتكبيره وتهليله وتوحيده سبحانه أهل الثناء والمجد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

ويختم ابن القيم حديثه بعد أن ذكر بعض هذه العلاجات النبوية بقوله:

" فإن لم تقو على إذهاب داءِ الهَمِّ والغَمِّ والحزن، فهو داءٌ قد استحكم، وتمكنت أسبابه، ويحتاج إلى استفراغ كُلِّي ".[1] والله المستعان.

** ** **

(1) زاد المعاد (4/180).

فصل

أورد الإمام البيهقي في كتابه شعب الإيمان عددا من الأبيات الشعرية التي يرويها عن أصحابها بإسناده إليهم، وهي أبيات رائعة في موضوعنا هذا، ولما كان الكتاب كتاباً حديثياً من أربعة عشر مجلدا يصعب على الكثيرين اقتناؤه فضلًا عن المطالعة فيه، رأيت أن أنتقي منها جملة ألحقها بكتابي هذا، والله الموفق.

1 - أنشد محمد بن عامر البلخي: [1]

أيا فارج الهم عن نوح وأسرته
وصاحب الحوت مولى كل مكروب
و فالق البحر عن موسى وشيعته
ومذهب الحزن عن ذي البيت يعقوب
و جاعل النار لإبراهيم باردة
ورافع السقم عن أوصال أيوب
إن الأطباء لا يغنون عن وصب
أنت الطبيب طبيب غير مغلوب

** ** **

(1) شعب الإيمان (7 / 206).

2 – أنشد أحمد بن يحيى: [1]

مفتـاح بـاب الفـرج الـصبر وكـل عـسر معـه يـسر
والـدهر لا يبقـى علـى حالـه والأمـر يـأتي بعـده الأمـر
والكره تفنيه الليـالي التـي يفنـى عليهـا الخيـر والـشر
وكيـف يبقـى حـال مـن حالـه يـسرع فيهـا اليـوم والـشهر

❊❊ ❊❊ ❊❊

3 – كان القاسم بن محمد بن جعفر يقول كثيرا: [2]

عسى ما ترى أن لا يـدوم وأن ترى له فرجا مما ألـح بـه الـدهر
عـسى فرجـا يأتـي بـه الله إنـه لـه كـل يـوم فـي خليقتـه أمـر
إذا لاح عسر فـارج يـسرا فإنـه قضى الله إن العسر يتبعه يـسر

❊❊ ❊❊ ❊❊

(1) شعب الإيمان (7 / 207)
(2) شعب الإيمان (7 / 207).

4- قال إبراهيم بن مسعود: كان رجل من تجار المدينة يختلف إلى جعفر بن محمد فيخالطه ويعرفه بحسن الحال، فتغيرت حاله فجعل يشكو ذلك إلى جعفر بن محمد فقال جعفر: [1]

فلا تجزع وإن أعسرت يوما فقد أيسرت في الزمن الطويل

ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل

ولا تظن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

قال: فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس.

** ** **

5- قال محمد بن الحسين: رأيت مجنونا قد ألجأه الصبيان إلى مسجد، فجاء فقعد في زاوية، فتفرقوا عنه فقام وهو يقول: [2]

إذا ضاق أمر فانتظر فرجا فأصعب الأمر أدناه من الفرج

** ** **

(1) شعب الإيمان (7/207)

(2) شعب الإيمان (7/208).

6- حدث الحسين بن عبد الرحمن: أن وزير الملك نفاه الملك لموجدة وجدها عليه، فاغتم لذلك غما شديدا، فبينما هو ذات ليلة في مسير له، إذ أنشده رجل كان معه: [1]

أحسن الظن برب عودك حسنا أمس وسوى أودك

إن ربا كان يكفيك الذي كان بالأمس سيكفيك غدك

قال: فسرى عنه فأمر له بعشرة آلاف درهم.

** ** **

7- قال أبو بكر بن أبي الدنيا: أنشدني رجل من قريش:[2]

ألم تر أن ربك ليس يحصى أياديه الحديثة والقديمة

تسل عن الهموم فليس شيء يقيم وما همومك بالمقيمة

لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمة

** ** **

8- أنشدني أبو الحسن علي بن بكران الواسطي قال: أنشدنا علي بن مهدي لبعضهم: [3]

عسى الكرب الذي أمسيت يكون وراءه فرج قريب

---

(1) شعب الإيمان (7/208).

(2) شعب الإيمان (7/208).

(3) شعب الإيمان (7/209).

فيـأمن خـائف ويفـك عـان ويأتـي أهلـه النائـي الغريـب
فيـا ليـت الريـاح مـسخرات بحاجتنـا تبـادر أو تـؤوب
فتخبرنـا الـشمال إذا أتينـا وتخبـر أهلنـا عنـا الجنـوب
فإن يك صدر هـذا اليـوم لـي فـإن غـدا لناظـره قريـب

** ** **

9- وأنشدني سالم بن الحسين: [1]

مـا هـم عبـد مـن الـدنيا بـذي حـزن
إلا لذلـك مفتـاح مـن الفـرج
لـو يمـس بـدار الهـم مفتـرش الحـشا
متفكـر فـي عظـم مـا فيـه ولـج
فلعـل أن يـأتي الـصباح بنعمـة مـن
ربـه فيـراه فيهـا قـد خـرج

** ** **

10- قال عبد بن حميد لرجل يشكي إليه العسرة في أموره: [2]

ألا أيهـا المـرء الـذي فـي عـسره أصـبح
إذا اشتد بك الأمر فلا تـنس ألـم نـشرح

(1) شعب الإيمان (7/209).
(2) شعب الإيمان (7/209).

الأذكار والأدعية النبوية الصحيحة الواردة في زوال الهم والكرب[1]

- استغفر الله استغفر الله (كثيرا ودائما)
- سُبْحَانَ اللَّه العظيمِ.
- اللَّهُ رَبِّى لا أُشْرِكُ به شيئاً.
- لا حول ولا قوة إلا باللَّه.
- يا حَيُّ يا قَيُّومُ برحمتِكَ أستغيثُ.
- لاَ إله إلا أَنتَ سُبْحَانكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.
- حسبي اللَّه لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. (سبع مرات).
- اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أرجُو، فَلا تَكِلْنِي إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأصْلِحْ لي شَأني كُلَّهُ، لا إله إلا أنْتَ.
- لا إله إلا اللَّه الحليم الكريم سبحان اللَّه وتبارك اللَّه رب العرش العظيم والحمد للَّه رب العالمين.

(1) وهي التي تقدم ذكرها وتخريجها، سردتها هنا ليسهل حفظها والدعاء بها.

- لا إلـهَ إلا اللَّهُ العَظِـيمُ الحَلِـيمُ، لا إلـهَ إلا اللَّهُ ربُّ العـرشِ العَظِـيمُ، لا إلـهَ إلا اللَّهُ رَبُّ الـسَّمَواتِ الـسَّبْع، ورَبُّ الأرْض رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمُ.
- اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال.
- أسألك بلا إله إلا أنت، ربّ السماوات السبع ورب العرش العظيم، وأسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن، إنّك على كل شيء قدير.
- اللهم إني عبدك وابن أمتك، ناصيتي في يدك، ماض في حكمك، عدل في قضائك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن: ربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي.
- الصلاة على النبي (كثيرا ودائما) بإحدى الصيغ التالية:

- اللهم صل على محمد.
- أو: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على

إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

- أو: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجي اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

** ** **

الخاتمــة

الحمدللَّه الـذي بنعمتـه تـتم الـصالحات، وبتوفيقـه يبلـغ المرء الغايات ويحقق المرادات، أما بعد:

فبعد التطواف على ربوع هذا الكتاب الـوجيز، واقتطـاف ما فيه من هدي نبوي جليل عزيز، يكون القارئ قـد علـم أن السعادة ليس أمرا ماديـا يُشْترى ويوهـب، وإنمـا هـي تربيـة للــنفس علــى جُمْلــةٍ مــن الأقــوال والأفعــال والعــادات والمعتقـدات والـسلوكيات التـي متـى مـا ألفتهـا وتعودتهـا وصـارت جـزء مـن شخـصيتها؛ نالـت الـسعادة مـن أوسـع أبوابها، وصارت ترى كل ما في الوجود جميلا، لأنها تكون نفسا ربانية، تعيش مع اللَّه ولأجل اللَّه ووفق منهج اللَّه، و[**اللَّه جميل يحب الجمال**][1]، فمن كان معه فكيف لا يرى الوجود جميلا؟!

وليست الأحاديث النبوية والمفـاهيم الـشرعية محـصورة بما ذكر في هذا الكتاب، بل هي أعظم وأوسع بكثير، ولعـل

(1) صحيح مسلم (91).

الله جل وعلا يتيح لنا فرصا قادمة نستقي فيها من معين سيرة النبي الكريم وسنته، ما يكمل ما بدأناه هنا، بل ومن سير الأنبياء والرسل عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم السلام، وقد جاء في شعب الإيمان للبيهقي (205/7) أن موسى عليه السلام قال لربه يوما: يا رب أرأيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب أي شيء أعطيتهم؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئا إلا اختارني عليه، وإن إسحاق جاد لي بنفسه فهو على ما سواه أجود، وأما يعقوب فما ابتليته ببلاء إلا ازداد بي حسن الظن.

فهؤلاء قدواتنا التي أراد الله منا التأسي بها، وإن نبينا محمدا ﷺ على رأس القائمة، بل خير تلك القدوات على الإطلاق، وإن هذا العمل، لهو محاولة متواضعة لتقريب تلك القدوات وبيان عظيم فضلهم وأثرهم، ألحقنا الله بركابهم دنيا وآخرة.

وختاما، أسأل الله لي ولجميع من قرأ كتابي هذا انشراح صدره، وانفراج أساريره، وزوال همه، وذهاب غمه، وتنفيس كربه، وأن يُنْعِم علينا وجميع المسلمين بخير حال ومقال وفعال وخصال وخلال ومنال ومآل.

المؤلف في
4 رمضان 2016م

فهرس

المقدمة 5

(1) حيزت له الدنيا 11

(2) إلى من تنظر؟ 14

(3) أمسك بعض مالك 18

(4) كل ذي نعمة محسود 23

(5) فالك من فيك 26

(6) بل هو نُسِّي 29

(7) دَعْ ما يُريبُك 31

(8) أعطِ كل ذي حق حقه 33

(9) يصبر على أذاهم 37

(10) لا يُبَلِّغُني أَحدٌ عنْ أَحد 40

(11) أَدْخَلَ عليهِم الرِّفْق 42

(12) والشر ليس إليك 46

(13) صدق الله.. وكذب بطن أخيك 51

(14) أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم 57
(15) شيطان يتبع شيطانة 61
(16) إذا استودع شيئا حفظه 64
(17) ليغان على قلبي 68
(18) خَبْءٌ من عمل صالح 71
(19) لك ما نويت 76
(20) لم أُوْمَر أن أنقب قلوب الناس 80
(21) لم يُسرع به نسبه 83
(22) ترضون دينه ! 87
(23) مجـــرى الـــدم 91
(24) كالقابض على الجمر 93
(25) بِئْس أخو العشيرة 97

زوال الهم في السنة النبوية 102
(1) الاقتصار على هم الآخرة: 103
(2) معرفة فوائد الهموم 105
تكفير الذنوب 105
(3) أدعية زوال الهموم 107
(4) لزوم الاستغفار ومداومة الصلاة على النبي 123

(5) كثرة قراءة القرآن الكريم يوميا 126
(6)(7) الصبر والفزع للصلاة 127
(8) الجهاد [الحق] 133
(9) عبادات ما بين الصلاتين 134
فصل: أبيات في الهم يرويها البيهقي في شُعب الإيمان ... 136
مسرد: الأذكار والأدعية الواردة في زوال الهم والكرب 141
الخاتمــة 145

❊ ❊ ❊

تم بحمد الله

هذا الكتاب إهداء من

جمعية السلام والصديق التعاونية

رمضان 1437 هـ/2016م

بالتعاون مع

مسجد عبد العزيز عبد المحسن الراشد

جزاهم الله خيرا.

مسجد عبدالعزيز الراشد
ضاحية السلام